الفصل الثالث

نماذج من الإعجاز العلمي في أحاديث رسول الله ﷺ

أولاً: التأكيد على أن الأرضين السبع كلها في أرضنا

يروى عن رسول الله ﷺ الأقوال التالية في النهي عن الظلم:

- **«من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين».**
- **«من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين».**
- **«من أخذ شيئاً من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين».**
- **«من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين ».**
- **«من ظلم من الأرض شيئاً طوقه من سبع أرضين».**

(١) «من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين»

هذا الحديث الشريف ـ أخرجه البخاري في صحيحه (حديث رقم ٣٠٢٣، باب: ما جاء في سبع أرضين، كتاب بدء الخلق) قال:

● حَدَّثَنَا عَلِي بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ عَلِي بْنِ الْمُبَارَكِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُنَاسٍ خُصُومَةٌ فِي أَرْضٍ فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَذَكَرَ لَهَا ذَلِكَ فَقَالَتْ: يَا أَبَا سَلَمَةَ اجْتَنِبِ الأَرْضَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»**.

● حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا حَرْبٌ قَالَ: حدثني يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ

أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ حَدَّثَهُ ـ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ خُصُومَةٌ فِي أَرْضٍ وَأَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا فَقَالَتْ: يَا أَبَا سَلَمَةَ اجْتَنِبِ الأَرْضَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**».

(٢) من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين

هذا الحديث الشريف ـ أخرجه البخاري في صحيحه (حديث رقم ٢٣٢١، باب: إثم من ظلم شيئاً من الأرض) قال:

● حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُنَاسٍ خُصُومَةٌ فَذَكَرَ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها فَقَالَتْ: يَا أَبَا سَلَمَةَ اجْتَنِبِ الأَرْضَ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**».

وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه حديث رقم ١٦١٢ في كتاب المساقاة قال:

● حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا حَرْبٌ وَهُوَ ابْنُ شَدَّادٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى وَهُوَ ابْنُ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ حَدَّثَهُ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ خُصُومَةٌ فِي أَرْضٍ وَأَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا فَقَالَتْ: يَا أَبَا سَلَمَةَ اجْتَنِبِ الأَرْضَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**».

(٣) «من أخذ شيئاً من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»

هذا الحديث الشريف ـ أخرجه البخاري في صحيحه (حديث رقم ٣٠٢٤، باب: ظلم من الأرض، كتاب المظالم):

● حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**مَنْ أَخَذَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئاً بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**».

وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده حديث رقم ٥٧٤٠:

● حَدَّثَنَا عَارِمٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ سَالِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَخَذَ شَيْئاً مِنَ الأَرْضِ ظُلْماً خُسِفَ بِهِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**».

(٤) «من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين».

هذا الحديث الشريف ـ أخرجه البخاري في صحيحه (حديث رقم ١٠٢٦، باب: إثم من ظلم شيئاً من الأرض، كتاب بدء الخلق) قال:

● حَدَّثَنِي عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ أَنَّهُ خَاصَمَتْهُ أَرْوَى فِي حَقٍّ زَعَمَتْ أَنَّهُ انْتَقَصَهُ لَهَا إِلَى مَرْوَانَ فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أَنْتَقِصُ مِنْ حَقِّهَا شَيْئاً؟ أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ أَخَذَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ ظُلْماً فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**».

(وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم ١٦١٠، كتاب المساقاة).

● حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّاءَ بْنِ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ أَخَذَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ ظُلْماً فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**».

(٥) «من ظلم من الأرض شيئاً طوقه من سبع أرضين».

هذا الحديث الشريف ـ أخرجه البخاري في صحيحه (حديث رقم ٢٣٢٠، كتاب المظالم والغصب) قال:

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِي قَالَ: حَدَّثَنِي طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَمْرِو بْنِ سَهْلٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ ظَلَمَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئاً طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**».

وأخرجه أحمد في مسنده (حديث رقم١٦٤٣):

● حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ حَدَّثَنِي الزُّبَيْدِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَمْرِو بْنِ سَهْلٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ ظَلَمَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئاً فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**».

(٦) «من أخذ شيئاً من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»

هذا الحديث الشريف ـ أخرجه البخاري في صحيحه (حديث رقم ٣٠٢٤، باب: إثم من ظلم شيئاً من الأرض) قال:

● حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**مَنْ أَخَذَ شَيْئاً مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**».

● حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ: «**مَنْ أَخَذَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئاً بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**».

شرح الحديث:

وهذه الأحاديث: تنهى عن الظلم بصفةٍ عامةٍ، وعن الظلم في اغتصاب الأرض بصفةٍ خاصةٍ، انطلاقاً من قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٢ ـ ٤٧].

والآيات القرآنيّة الكريمة، وكذلك الأحاديث النبويّة الشريفة في النهي عن الظلم كثيرةٌ، ولكنّ الروايات الخمس المُشَار إليها آنفاً تُرَكِّز على الأرضين السبع. وقد حَارَ النّاس في فَهْم دِلالة تلكَ الإشارة الكونيّة، وكَثُرَت تساؤلاتهم:

هل الأرضين السبع هي سبعُ كواكبَ مُنفَصِلةٍ مثل أرضنا، لكلٍّ أرضٍ منها سماؤُها؟ وإذا كان كذلك فأين هي؟ خاصَّةً وأنّ أعدادَ الكواكبِ في الجزءِ المُدْرَك من السماء الدنيا كثيرةٌ، وقد بدأت البحوث الفلكيّة في اكتشاف أعدادٍ منها على الرّغم من صعوبة ذلك.

هل هي من كواكب المجموعة الشمسيّة كما كان يُظَنُّ إلى عهدٍ قريبٍ قبلَ أن يصلَ عدد المُكتَشَف منها إلى أَحَدَ عَشَرَ كوكباً؟ أم هي سبعُ نُطُقٍ في أرضنا التي نحيا عليها يُغلِّف الخارجُ منها الداخلَ فيها، وتتطابق حول مركزٍ واحدٍ؟.

والأحاديث النبويّة الشريفة المُشَار إليها آنفاً تؤيِّد التصوُّر الأخير الذي أثبتته الدراسات الفيزيائيّة لتركيب الأرض الداخليّ على النحو التالي:

- **لُبّ الأرض الصلب**: وهو عبارةٌ عن نواةٍ صلبةٍ من الحديد (٩٠٪)، والنيكل (٩٪)، مع قليلٍ من العناصر الخفيفة (١٪) من مثل الكربون، والفوسفور، والكبريت، والسيليكون، والأوكسجين، وهو تركيبٌ قريبٌ من تركيب النيازك الحديديّة مع زيادةٍ واضحةٍ في نسبة الحديد، ويبلغ قطر هذه النواة حالياً حوالي (٢٤٠٢) كيلومتراً، وتُقَدَّر كثافتها بحوالي ١٠ ـ ١٣,٥ جرام للسنتيمتر المكعب؛ ذلك لأن متوسط كثافة صخور الأرض ككل هو ٥,٥ جرام للسنتيمتر المكعب، وتعتبر تلك النواة (**الأرض السابعة**).

- **نطاق لُبِّ الأرض السائل (الخارجي)**: وهو نطاقٌ سائلٌ تقريباً، يحيط باللُبّ الصلب، وله نفس تركيبه الكيميائيّ تقريباً، ولكنّه في حالة انصهار، ويُقَدَّر سُمْكُه بحوالي (٢٢٧٥) كيلومتراً، ويفصله عن اللُبّ الصلب منطقةٌ انتقاليةٌ شبهُ منصهرةٍ يبلغ سُمْكُها (٤٥٠) كيلومتر، تُعْتَبَر الجزء الأسفل من هذا النطاق الذي

يمثل **الأرض السادسة**، ويُكَوِّن كل من اللُبّ الصلب والسائل حوالي ٣١٪ من كتلة الأرض.

- **النطاق الأسفل من وشاح الأرض (الوشاح السفلي)**: وهو نطاقٌ صلبٌ يُحِيط بلُبّ الأرض السائل، ويبلغ سُمْكُه حوالي (٢٢١٥) كيلومتراً (من عمق ٦٧٠كم إلى عمق ٢٨٨٥كم) ويفصله عن الوشاح الأوْسط (الذي يعلوه) مستوى انقطاع الموجات الاهتزازيّة الناتجة عن الزلازل، ويُعْتَبَر هذا النطاق **(الأرض الخامسة)**.

- **النطاق الأوسط من وشاح الأرض (الوشاح الأوسط)**: وهو نطاقٌ صلبٌ يبلغ سُمْكُه حوالي (٢٧٠) كيلومتراً، ويَحُدُّه من أعلى وأسفل مستويان من مستويات انقطاع الموجات الاهتزازيّة يقع أحدهما على عمق (٦٧٠) كيلومتراً (ويفصله عن الوشاح الأسفل)، ويقع الآخر على عمق (٤٠٠) كيلومتراً تحتَ سطح الأرض، ويَفصِلُه عن الوشاح الأعلى، ويمثِّل هذا النطاق **(الأرض الرابعة)**.

- **النطاق الأعلى من وشاح الأرض (الوشاح العلوي)**: وهو نطاقٌ لدنٌ، شبهُ منصهرٍ، عالي الكثافة واللزوجة، تَبْلُغ نسبة الانصهار فيه حوالي (١٪)، ولذلك فإنه يُعْرَف باسم نطاق الضَّعف الأرضي، ويَمْتَدُّ بين عمق (٦٥، ١٢٠) كيلومتر، وعمق (٤٠٠) كيلومتر تحتَ سطح الأرض، ولذلك يتراوح سُمْكُه بين (٣٣٥)، (٣٨٠) كيلومتراً، ويعتبر هذا النطاق **(الأرض الثالثة)**.

- **النطاق السفلي من الغلاف الصخري للأرض**: ويتراوح سُمْكُه بيْن (٥٧)، (٦٠) كيلومتراً تحت قيعان البحار والمحيطات بين أعماق تتراوح بين (٥، ٨كم) بينما يتراوح سمكه على اليابسة بينَ ٣٢٠، ٣٤٠ كيلومتراً (بعد أعماق تتراوح من ٦٠ إلى٨٠ كيلومتراً في المتوسط) ويَحُدُّه من أسفل الحدّ العلويّ لنطاق الضعف الأرضيّ، ومن أعلى خط انقطاع الموجات الاهتزازيّة المعروف باسم: «الموهو» ويمثِّلُ هذا النطاق **(الأرض الثانية)**.

- **النطاق العلوي من الغلاف الصخري للأرض (قشرة الأرض)**: ويتراوح سُمْكُه

بيْن (٥، ٨) كيلومترات تحتَ قِيْعانِ البحار والمحيطات، وبين ٦٠ إلى٨٠ كيلومتراً في المتوسّط تحتَ القارات، ويتكون غالباً من الصخور الجرانيتيّة المغطاة بسُمْك رقيقٍ من التتابعات الرسوبيّة والتربة، ويَغْلُب على تركيب قشرة الأرض العناصر الخفيفة في كُتل القارات، والصخور القاعديّة وفوقَ القاعديّة وبعض الرسوبيّات في قِيعَان البحار والمحيطات، وتُعْتَبَر قشرة الأرض هي: **(الأرض الأولى)**.

هذا التفسير يتطابق مع أحاديث المصطفى ﷺ، خاصةً حينما يَذْكُر التعبير المُعْجِز «**خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين**» مما يشير إلى تطابق تلك الأرضين حولَ مركزٍ واحدٍ، ويُدَعِّمُه قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ في سورة إبراهيم، عقب الآيات المُحَذرَة من الظلم والتي أشرنا إليها في الأسطر السابقة: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وقوله ـ عز من قائل ـ في ختام سورة الطلاق: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

وقوله ﷻ في سورة الملك: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣ ـ ٤].

والوصف (طباقاً) هنا معناه متطابقة حولَ مركزٍ واحدٍ، يُغَلِّف الخارجُ منها الداخلَ فيها، وليست طباقاً بمعنى طبقات بعضُها فوقَ بعضٍ بهيئةٍ أفقيةٍ كما تَصَوَّرَها البعضُ من قبل، ورَحِمَ الله اليقاعي الذي قال: «(طباقاً) أي: ذاتُ أطباقٍ، بحيثُ يكون كلُّ جزءٍ منها مطابقاً للجزء من الأخرى، ولا يكون جزءٌ منها خارجاً عن ذلك، وهي لا تكون كذلك إلا أن تكون الأرض كُرَوِيَّةً، والسماء الدنيا مُحِيطَةٌ بها إحاطة قشر البيضة من جميع الجوانب، والسماء الثانية مُحِيطَةٌ بالسماء الدنيا، وهكذا إلى أن يكون العرش مُحِيطاً بالكلِّ، والكُرسِيّ الذي هو

أقربُها بالنسبة إليه كحلقةٍ في فلاةٍ، فما ظَنُّكَ بما تَحتَه، وكلُّ سماءٍ من التي فوقَها بهذه النِّسبة، وقد قرَّر أهلُ الهيئةِ أنَّها كذلك، وليس في الشرع ما يُخَالِفُه، بل ظاهِرُه يُوَافِقُه».

ويؤكد هذا الاستنتاج مقابلة السماء ـ على سعتها ـ بالأرض ـ على ضآلتها النسبية ـ في عشرات الآيات القرآنية، والإشارة إلى فاصل بينهما في عشرين آية قرآنية من مثل قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا. . .﴾ [مريم: ٦٥].

واستنتاجنا هذا: أن الأرضين السبع كلها في أرضنا التي نحيا عليها، يغلف الخارج منها الداخل فيها، وأنها محاطة بالسمٰوات السبع إحاطة كاملة أيضاً أولاها السماء الدنيا المحيطة بأرضنا، ومن حولها ست سمٰوات يغلف الخارج منها كل ما دخل فيها، تؤكده إشارة القرآن الكريم إلى تطابق أقطار السمٰوات ـ على ضخامتها ـ مع أقطار الأرض ـ على ضآلتها النسبية ـ وذلك في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمٰن: ٣٣].

وذلك لأن قطر أي شكل هندسي هو الخط الواصل بين طرفيه مروراً بمركزه، فإذا انطبقت أقطار السمٰوات ـ على ضخامتها ـ مع أقطار الأرض ـ على ضآلتها النسبية ـ فلا بد أن تكون الأرض في مركز الكون، وأن تكون الأرضون السبع كلها في أرضنا وأن تكون محاطة بالسمٰوات السبع إحاطة كاملة، والله أعلم.

* * *

ثانياً: التأكيد على أن تحت البحر ناراً

قال ﷺ: «**لا يَرْكَبُ الْبَحْرَ إِلا حَاجٌّ أَوْ مُعْتَمِرٌ أَوْ غَازٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ تَحْتَ الْبَحْرِ نَاراً وَتَحْتَ النَّارِ بَحْراً**».

هذا الحديث الشريف أخرجه أبو داود في سننه (حديث رقم: ٢٤٨٩، باب: ركوب البحر في الغزو، كتاب الجهاد) قال:

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّا عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ بِشْرٍ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ بَشِيرِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لا يَرْكَبُ الْبَحْرَ إِلا حَاجٌّ أَوْ مُعْتَمِرٌ أَوْ غَازٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ تَحْتَ الْبَحْرِ نَاراً وَتَحْتَ النَّارِ بَحْراً**».

وكذلك أخرجه البيهقي في سننه (ج٤) وأخرجه غيرهما مرفوعاً بلفظ: «**إن تحت البحر ناراً، وتحت النار بحراً**» وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ج١)، موقوفاً على عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ بلفظ: «إن تحت البحر ناراً، ثم ماءً، ثم ناراً» وذكر أن رجال إسناده ثقات.

(وقيل في الرواية المرفوعة السابقة أن إسنادها ضعيف، ولكن الحاكم في المستدرك (ج٤/ ٨٧٦٢) أخرج له شاهداً من حديث يعلى بن أمية قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن البحر هو جهنم**» وقال: صحيح الإسناد؛ ووافقه الإمام الذهبي في «تلخيص المستدرك» على ذلك، وعليه يكون الحديث بمجموع طرائقه حسناً على الأقل، ومن ضعفه فقد نظر إلى طريقه الضعيفة وحدها نظراً لصعوبة فهم دلالة الحديث.

فقد ذكر ابن كثير في «البداية» (الجزء الثاني، طبعة دار هجر) يقول في معنى كون البحر جهنم: «إن البحر يسجّر يوم القيامة ويكون من جملة جهنم». وما أروع ما جاء في كتاب «عون المعبود في شرح سنن أبي داود «للعظيم آبادي ـ الجزء السابع» في شرح معنى: «**إن تحت البحر ناراً**» قال: «قيل هو على

ظاهره، فإن الله على كل شيء قدير». وقال الخطابي في «شرح سنن أبي داود»: «هو تفخيم الأمر بالبحر وتهويل من شأنه».

وذكر ابن حجر شاهداً لصدر هذا الحديث يقويه ويرقى به إلى مرتبة الحسن، وذلك في كتابه «التلخيص» (الجزء الثاني) من حديث لابن عمر رضي الله عنهما، وبذلك يكون الحديث بمجموعه كله حسناً، على الرغم من عجيب ما فيه من معان علمية دقيقة لم يتوصل الإنسان إلى إدراك شيء منها إلا في أواخر القرن العشرين.

شرح الحديث:

الحديث الذي نحن بصدده يتفق بدقة بالغة مع القسم القرآني الوارد في مطلع سورة الطور، والذي يقسم فيه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ وهو الغني عن القسم ـ بالبحر المسجور فيقول ـ عز من قائل ـ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ١ ـ ٨].

ولم يستطع العرب في وقت تنزل القرآن الكريم أن يستوعبوا دلالة القسم بالبحر المسجور لأن عندهم: (سجر التنور) يعني أوقد عليه حتى أحماه، والماء والحرارة من الأضداد، فالماء تطفئ الحرارة، والحرارة تبخر الماء، فكيف يمكن للأضداد أن تتعايش في تلاحم وثيق دون أن يلغي أحدها الآخر؟ وقد دفعهم ذلك إلى نسبة الأمر للآخرة استناداً إلى ما جاء في سورة «التكوير» من قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].

ولكن الآيات في مطلع سورة «التكوير» كلها تشير إلى أمور مستقبلية في الآخرة، والقسم في مطلع سورة «الطور» كله بأمور واقعة في حياتنا!!!

واضطر ذلك مجموعة من المفسرين إلى البحث عن معنى لغوي للفعل (سجر) غير أوقد على الشيء حتى أحماه، ووجدوا من معاني (سجر) ملأ وكف،

وفرحوا بذلك فرحاً شديداً؛ لأنه فسر الأمر لهم بمعنى أن الله ـ تعالى ـ يمنّ على البشرية كلها بأنه قد ملأ منخفضات الأرض بالماء وحجزه وكفه عن مزيد من الطغيان على اليابسة.

ولكن حديث رسول الله ﷺ الذي نتناوله في هذه العجالة يؤكد على: أن **«تحت البحر ناراً، وأن تحت النار بحراً»**.

والرسول (صلوات الله وسلامه عليه) لم يركب البحر في حياته الشريفة مرة واحدة، فمن كان يضطره إلى الخوض في أمر غيبي كهذا لولا أن الله ـ تعالى ـ قد أخبره به؛ لأنه سبحانه يعلم بعلمه المحيط أن الإنسان سيكتشف هذه الحقيقة الكونية المبهرة في يوم من الأيام فأنزلها في كتابه الكريم، وعلمها لخاتم الأنبياء والمرسلين لتبقى شاهدة أبد الدهر على أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وأن هذا النبي الخاتم كان موصولاً بالوحي ومعلَّماً من قبل خالق السموات والأرض، الذي وصف خاتم أنبيائه ورسله بقوله ـ عز من قائل ـ:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٥].

وبعد الحرب العالمية الثانية نزل العلماء إلى أعماق البحار والمحيطات، بحثاً عن بعض الثروات المعدنية التي استنفدت احتياطاتها أو كادت من على اليابسة في ظل الحضارة المادية المسرفة التي يعيشها إنسان اليوم، ففوجئوا بسلسلة من الجبال البركانية تمتد في أواسط كافة محيطات الأرض لعدة عشرات الآلاف من الكيلومترات أطلقوا عليها اسم: (جبال أواسط المحيطات). وبدراسة تلك السلاسل الجبلية المحيطية اتضح أنها تتكون في غالبيتها من الصخور البركانية التي اندفعت على هيئة ثورات بركانية عنيفة عبر شبكة هائلة من الصدوع العميقة التي تمزق الغلاف الصخري للأرض، وتحيط بكرتنا الأرضية إحاطة كاملة في كل الاتجاهات، وتتركز أساساً في قيعان كل من المحيطات وبعض البحار (مثل البحر الأحمر) وإن وُجدت كذلك على اليابسة.

وشبكة الصدوع تلك تصل في امتداداتها إلى أكثر من ٦٤,٠٠٠ كيلومتر، وفي أعماقها إلى ٦٥ كيلومتراً تحت قيعان البحار والمحيطات وإلى أكثر من (١٥٠) كيلومتراً تحت قشرة الأرض، مخترقة الغلاف الصخري للأرض بالكامل فتصل إلى نطاق الضعف الأرضي، وتوجد الصخور فيه في حالة لدنة، شبه منصهرة، عالية الكثافة واللزوجة تدفعها تيارات الحمل الساخنة إلى قيعان كل محيطات الأرض وقيعان بعض البحار (من مثل البحر الأحمر) في درجات حرارة تتعدى الألف درجة مئوية، وذلك بملايين الأطنان فتدفع بجانبي المحيط يمنة ويسرة في ظاهرة يسميها العلماء ظاهرة: «اتساع قيعان البحار والمحيطات» (Sea-Floor Spreading). وباستمرار هذا التوسع، تملأ المناطق الناتجة عن عملية الاتساع تلك بالصهارة الصخرية؛ مما يؤدي إلى تسجير قيعان كل محيطات الأرض، وقيعان بعض بحارها (ذات القيعان المتصدعة التي تتعرض لعملية توسع).

ومن الظواهر المبهرة للعلماء اليوم أن الماء في المحيطات والبحار على كثرته لا يستطيع أن يطفئ جذوة تلك الصهارة، ولا الصهارة على شدة حرارتها تستطيع أن تبخر مياه البحار والمحيطات بالكامل، ويبقى هذا التوازن بين الأضداد: الماء والنار فوق قيعان كل محيطات الأرض (بما في ذلك المحيطين المتجمدين الشمالي والجنوبي)، وقيعان عدد من البحار(مثل البحر الأحمر) شهادة حية على طلاقة القدرة الإلٰهية التي لا تحدها حدود وعلى صدق القرآن الكريم، وصدق الرسول الخاتم الذي تلقاه ﷺ.

ففي مشروع لاستثمار ثروات قاع البحر الأحمر (وهو بحر قاعه منفتح تثور البراكين فيه ثورة عنيفة فتثري رسوبيات ذلك القاع بالعديد من المعادن)، قام مشروع مشترك بين كل من المملكة العربية السعودية والسودان وإحدى الدول الأوربية لاستغلال بعض تلك الثروات المعدنية، وكانت باخرة أبحاث تلقي بكباش من المعدن لجمع عينات من طين ذلك القاع، ويرتفع الكباش في عمود من الماء، يزيد سمكه عن ثلاثة آلاف متر، فإذا وصل إلى سطح الباخرة لا

يستطيع أحد أن يقربه من شدة حرارته، وإذا فتح يخرج منه الطين وبخار الماء الحار في درجات حرارة تتعدى الثلاثمائة درجة مئوية. وأصبح ثابتاً لدى العلماء اليوم أن الثورات البركانية فوق قيعان كل محيطات الأرض وقيعان أعداد من بحارها تفوق نظائرها على اليابسة بمراحل عديدة.

ثم ثبت بأدلة عديدة أن كل ماء الأرض ـ على كثرته ـ قد أخرجه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من داخل الأرض عن طريق الثورات البركانية عبر كل من فوهات البراكين، وصدوع الغلاف الصخري للأرض التي تمزقه إلى أعماق تصل إلى نطاق الضعف الأرضي، وأن الصهارة الصخرية في نطاق الضعف الأرضي ودونه تحوي كمًّا من الماء يفوق كل ما على سطح الأرض من ماء بعشرات الأضعاف، وهنا تتضح روعة هذا الحديث النبوي الشريف الذي قدر فيه المصطفى ﷺ عدداً من حقائق الأرض المبهرة بقوله: «**إن تحت البحر ناراً، وتحت النار بحراً**».

وهي حقائق لم يتوصل الإنسان إلى إدراك شيء منها إلا منذ سنوات معدودة، وورودها بهذه الدقة العلمية الفائقة في حديث رسول الله ﷺ لممَّا يشهد له بالنبوة والرسالة، وبأنه ﷺ كان أبداً موصولاً بالوحي، ومُعَلَّماً من قِبَل خالق السموات والأرض، وصدق الله العظيم إذ يقول في حقه:

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ١٠].

فلم يكن أحد على وجه الأرض يعلم هذه الحقائق قبل عقود قليلة، وورودها بهذه الدقة العلمية في حديث رسول الله ﷺ هو من الأمور المعجزة حقّاً، والشاهدة بصدق نيته وكمال رسالته ﷺ.

* * *

ثالثاً: الإشارة إلى حقيقة إرساء الأرض بالجبال

يروى عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «**لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فعاد بها عليها فاستقرت....**».

هذا الحديث الشريف رواه الترمذي في سننه (حديث رقم: ٣٣٦٩، كتاب تفسير القرآن)، ورواه أحمد في مسنده (حديث رقم: ٢٢٧٥)، وكل منهما قال:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ حَدَّثَنَا الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَعَادَ بِهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ فَعَجِبَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ شِدَّةِ الْجِبَالِ قَالُوا: يَا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الْجِبَالِ؟ قَالَ: نَعَمْ الْحَدِيدُ قَالُوا: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الْحَدِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ النَّارُ فَقَالُوا: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمْ الْمَاءُ قَالُوا: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الْمَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ الرِّيحُ قَالُوا: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الرِّيحِ؟ قَالَ: نَعَمْ ابْنُ آدَمَ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ بِيَمِينِهِ يُخْفِيهَا مِنْ شِمَالِهِ**» قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعاً إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ».

شرح الحديث:

وهذا الحديث الشريف يتفق روحاً ومعنى مع قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٢، ٣٣].

وقد تكرر هذا المعنى في تسعة مواضع أخرى من كتاب الله العزيز (الرعد: ٣، الحجر: ١٩، النحل: ١٥، الأنبياء: ٣١، النمل: ٦١، لقمان: ١٠، فصلت: ١٠، قّ: ٧، المرسلات: ٢٧)، مما يدل على أهميته في تهيئة الأرض للعمران.

ولفظة (الأرض) ترد في القرآن الكريم وفي أحاديث رسول الله ﷺ بمدلولات ثلاثة حسب مفهوم السياق، فهي ترد أحياناً للدلالة على الكوكب الأرضي ككل.

وأحياناً ترد بمدلول كتل اليابسة التي نحيا عليها (الغلاف الصخري للأرض)، وأحياناً أخرى يقصد بها التربة التي تغطي صخور اليابسة.

وقد اختلف العلماء في فهم دور الجبال في إرساء الأرض اختلافاً كبيراً؛ وذلك لأن مجموع كتل الجبال على سطح الأرض ـ على الرغم من ضخامتها ـ لا تساوي شيئاً بالنسبة لكتلة الأرض ككل والمقدرة بحوالي ستة آلاف مليون مليون مليون طن.

كذلك فإن ارتفاعات الجبال ـ على تعاظمها ـ لا تساوي شيئاً بالنسبة إلى طول نصف قطر الأرض؛ وذلك لأن الفرق بين أعلى قمة جبلية على سطح الأرض ـ وهي قمة إفرست (في سلسلة جبال الهيمالايا) والتي يبلغ ارتفاعها (٨٨٤٨ متراً) فوق مستوى سطح البحر ـ وبين أعمق بقعة في أغوار المحيطات ـ وهي غور ماريانا بالقرب من جزر الفلبين، والتي تبلغ في العمق ١٠٨٦٧ متراً تحت مستوى سطح البحر ـ لا يكاد يصل إلى عشرين كيلومتراً (١٩,٧١٥ كيلومتراً)، بينما يبلغ نصف القطر الاستوائي للأرض ٦,٣٧٨,١٦٠ كيلومتراً، وهنا تتضح ضآلة تضاريس الأرض بالنسبة إلى نصف قطرها، ونسبتها لا تكاد تتعدى ٠,٣٪ (١٦٠، ٦٣٧٨/ ٧١٥، ١٩).

وهنا يبرز التساؤل المنطقي: كيف يمكن للجبال أن تثبت الأرض وكتلتها وأبعادها بهذه الضآلة إذا ما قورنت بكتلة وأبعاد الأرض؟، والجواب لم يكن ممكناً قبل أواسط الستينات من القرن العشرين حين اتضح لنا أن الغلاف الصخري للأرض ممزق بشبكة هائلة من الصدوع التي تمتد لعشرات الآلاف من الكيلومترات، وهي محيطة بالأرض إحاطة كاملة بعمق يتراوح بين ٦٥كم، ١٥٠كم، فتؤدي إلى تمزيق هذا الغلاف إلى عدد من الألواح الصخرية المعزولة عن بعضها البعض بمستويات تلك الصدوع، وتطفو ألواح الغلاف الصخري للأرض فوق طبقة لدنة شبه منصهرة عالية الكثافة واللزوجة تعرف باسم: نطاق الضعف الأرضي.

وفي هذا النطاق تنشط التيارات الجدارية على هيئة دوامات عاتية من تيارات الحمل التي تدفع بألواح الغلاف الصخري للأرض متباعدة عن بعضها البعض، أو مصطدمة ببعضها البعض بسرعات لا تسمح بعمرانها على الإطلاق.

وهذه الحركات لألواح الغلاف الصخري للأرض لا يُهَدِّئ من عُنْفِها إلا تَكَوُّن السلاسل الجبلية نتيجة لتصادم ألواح الغلاف الصخري للأرض. وهذه السلاسل الجبلية تتكون على مراحل متتالية حتى تصل إلى مرحلتها النهائية باستهلاك قاع المحيط الفاصل بين قارتين متباعدتين استهلاكاً كاملاً، وذلك بدفع إحدى القارتين له تحت القارة الأخرى حتى تصطدم القارتان وينتج عن ذلك تضاعف وتكسر الصخور المتجمعة بينهما على هيئة سلاسل جبلية عظيمة تمتد بأوتادها لتثبت صخور إحدى القارتين بصخور الأخرى، كما يثبّت الوتد أركان الخيمة بالأرض، وكما قد حدث بتحرك الهند في اتجاه القارة الآسيوية حتى اصطدمتا ونتج عن ذلك تكون جبال الهيمالايا كأحدث سلسلة جبلية على سطح الأرض وأعلاها ارتفاعاً.هذا بالنسبة لتثبيت كتل القارات على سطح الأرض لجعلها صالحة للعمران..أما بالنسبة للأرض ككوكب، فمن المعروف أنه نتيجة لدوران أرضنا حول محورها فقد تحول شكلها من كرة تامة الاستدارة إلى شبه كرة منبعجة قليلاً عند خط الاستواء، ومفلطحة قليلاً عند القطبين، وهذا النتوء الاستوائي للأرض جعل محور دورانها يغير اتجاهه في حركة بطيئة تعرف باسم: (الحركة البدارية) عندما خلق الله الأرض جعلت تميد، فأرساها بالجبال، والحديث الشريف يتفق نصاً ومعنى مع آيات قرآنية كريمة (سبقت الإشارة إليها)، فسبحان الذي أنزل القرآن من قبل أربعة عشر قرناً بهذه الحقيقة العلمية المبهرة، وألهمها خاتم أنبيائه ورسله ﷺ فصاغها هذه الصياغة المعجزة (وقد أوتي جوامع الكلم)، ولم يتوصل الإنسان إلى شيء من هذا الفهم لوظيفة الجبال إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، ولا يمكن لعاقل أن يتصور أن هذه الحقيقة العلمية، والعديد غيرها من الحقائق التي جاءت على لسان هذا النبي الأمي (عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم)، والذي بعث من قبل ألف وأربعمائة سنة في أمة كانت

غالبيتها الساحقة من الأميين ـ كان لها من مصدر غير الله الخالق، فلم يكن لأحد من الخلق أي إدراك لتلك الحقيقة قبل العقود المتأخرة من القرن العشرين.

* * *

رابعاً: التأكيد على أنه «ما من عام بأقل مطراً من عام»

أخرج الإمام البيهقي (يرحمه الله) في السنن الكبرى برقم ٦٢٧٥ (ج٣، ص: ٣٦٣ من طبعة الهند) هذا الحديث الشريف الذي رواه ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ﷺ ولفظه: «**ما من عام بأقل مطراً من عام**».

وهذا الحديث الشريف أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (ج٢، ص: ٤٠٣ من طبعة الهند) مرويًّا عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «**ما من عام بأمطر من عام، ولكن الله يَصْرِفُهُ** ـ أو ـ **يُصَرِّفُه**» وعلى الرغم من أن النص الأول موقوف على ابن مسعود، والنص الثاني موقوف على ابن عباس (رضي الله عنا وعنهم أجمعين)، مما دفع ببعض دارسي الحديث إلى تضعيف الرفع لعدم فهم دلالته العلمية.

شرح الحديث:

هذا الحديث الشريف الذي ضعَّفه عدد من علماء السنة النبوية المشرفة يمثل سبقاً علمياً للمعارف الإنسانية بأكثر من ألف وأربعمائة سنة، كما يمثل نصًّا رائعاً من نصوص الإعجاز العلمي في أحاديث رسول الله ﷺ، ومن هنا تأتي قوته، فقد ثبت علميًّا أن كمية الماء على سطح الأرض هي كمية هائلة، إذ تقدر بحوالي ١٣٦٠ مليون كيلومتر مكعب، أغلبها (٩٧,٢٠٪) على هيئة ماء مالح في البحار والمحيطات، بينما تتجمع الكمية الباقية (٢,٨٠٪) على هيئة الماء العذب بأشكاله الثلاثة (الصلبة، والسائلة، والغازية)، منها (٢,١٥٪) من مجموع ماء الأرض على هيئة تراكمات الجليد فوق المنطقتين القطبيتين من الأرض، وعلى قمم جبالها، والماء الباقي ـ وتقدر كميته بحوالي (٠,٦٥٪) من مجموع مياه الأرض ـ يختزن أغلبه في الطبقات المسامية من صخور القشرة الأرضية على هيئة ماء مخزون

تحت سطح الأرض، تليه في الكثرة النسبية مياه البحيرات العذبة، ثم الماء المختزن على هيئة رطوبة في تربة الأرض، ويليه بخار الماء في الغلاف الغازي للأرض (رطوبة الغلاف الغازي)، ثم المياه الجارية في الأنهار وتفرعاتها، كما سبق وأن أسلفنا.

والماء المالح يغطي حوالي ٧١٪ من مساحة سطح الأرض المُقدَّرة بحوالي ٥١٠ مليون كيلومتر مربع، أي: إن مساحة المسطحات المائية فوق الأرض تقدر بحوالي (٣٦١ مليون كيلومتر مربع)، بينما تقدر مساحة اليابسة بحوالي (١٤٩ مليون كيلومتر مربع) فقط.

وعلى ذلك فإن معدل البَخْر من أسطح البحار والمحيطات يقدر بحوالي (٣٢٠,٠٠٠ كيلومتر مكعب) من الماء في كل عام، بينما يُقدَّر معدل البخر من اليابسة بحوالي ٦٠,٠٠٠ كيلومتر مكعب، وبجمع هذين الرقمين يتضح أن دورة الماء بين الأرض وغلافها الغازي تشمل (٣٨٠,٠٠٠ كيلومتر مكعب) في السنة، وأغلب هذه الكمية يتبخر من المناطق الاستوائية، حيث يصل متوسط درجة الحرارة السنوي إلى ٢٥ درجة مئوية.

وعندما يتبخر الماء من أسطح كل من البحار والمحيطات واليابسة الأرضية، فإنه يرتفع بفعل قلة كثافته، وبدفع التيارات الهوائية له إلى النطاق الأسفل من الغلاف الغازي للأرض (نطاق التغيرات المناخية)، وهو يتميز بالتبرد مع الارتفاع حتى تصل درجة حرارته إلى ناقص ٨٠ درجة مئوية فوق خط الاستواء، وفي هذا النطاق البارد يتكثف بخار الماء الصاعد من الأرض ويعود إليها بإذن الله ـ تعالى ـ، مطراً أو ثلجاً، أو برداً، أو طلًّا (على هيئة الشَّبُّورة أو الندى).

والماء في عودته إلى الأرض يصرفه الله ـ تعالى ـ بحكمة بالغة، حيث ينزل على اليابسة قدراً أعلى مما يتبخر من أسطحها ـ (٩٦,٠٠٠ كيلومتر مكعب مقابل ٦٠,٠٠٠ كيلومتر مكعب مجموع المتبخر منها)، بينما ينزل على البحار والمحيطات قدراً أقل عما يتبخر من أسطحها (٢٨٤,٠٠٠ كيلومتر مكعب في مقابل ٣٢٠,٠٠٠

كيلومتر مكعب يتبخر منها)، والفارق بين هذين كميتي المطر والبخر على اليابسة، ويقدر بـ (٣٦,٠٠٠ كيلومتر مكعب) من الماء يفيض من اليابسة إلى البحار والمحيطات في كل عام، بعد أن يكون قد أدى دوره على سطح اليابسة من تفتيت للصخور، وتكوين للتربة، وشق للفجاج والسبل، وتسوية لسطح الأرض، وتركيزٍ للعديد من الخامات الرسوبية، وريٍّ للإنسان والحيوانات والنباتات، وخزن لبعض الماء في صخور الأرض، وترطيبٍ لكلٍ من الغلاف الغازي والتربة، وازدهار للحياة. ودورة الماء حول الأرض دورة معجزة تشهد لله الخالق بطلاقة القدرة، وعظيم الصنعة، وإحكام الخلق، فكميتها في مجموعها ثابتة، ومحسوبة بما يكفي متطلبات الحياة على الأرض، والدورة ذاتها بين البخر والمطر تعمل على تنقية مياه الأرض التي يحيا ويموت فيها بلايين الأفراد من صور الحياة المختلفة في كل لحظة، وهي تعمل على حفظ التوازن الحراري على سطح الأرض، وعلى التقليل من شدة حرارة الشمس في الصيف، فتعمل على تقليل الفرق بين درجتي الحرارة صيفاً وشتاءً؛ وذلك لصون الحياة الأرضية بمختلف أشكالها.

ولما كان مجموع ما يتبخر من ماء الأرض إلى غلافها الغازي ثابتاً في كل عام، وكان مجموع ما يحمل هذا الغلاف الغازي من بخار الماء ثابتاً كذلك على مدار السنة، فإن مجموع ما ينزل من مطر إلى الأرض يبقى ثابتاً في كل سنة، وإن تباينت كميات سقوطه من مكان إلى آخر حسب مشيئة الله. ويبلغ متوسط سقوط المطر على سطح الأرض اليوم ٨٥,٧ سنتيمتراً مكعباً في السنة، وتتراوح كمياته بين الصفر في المناطق الصحراوية الجافة والقاحلة و١١,٤٥ متراً مكعباً في السنة في جزر هاواي.

وهذه الملاحظات الدقيقة التي لم يستطع الإنسان الوصول إليها إلا في أواخر القرن العشرين سبقتها بأربعة عشر قرناً أو يزيد أحاديث رسول الله ﷺ التي قال فيها: «**ما من عام بأقل مطراً من عام**». وقال ﷺ: «**ما من عام بأمطر من عام، ولكن الله يَصْرِفُهُ** (أو يُصَرِّفه)».

* * *

خامساً: التأكيد على أن اليابسة مدت من تحت الكعبة المشرفة

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كانت الكعبة خُشْعةً على الماء فدحيت منها الأرض**» (أخرجه كل من ابن جرير وأبي الشيخ في «كتاب العظمة» عن ابن عباس، وأخرجه كل من أبي الوليد الأزرقي في كتاب «تاريخ مكة» عن سعيد بن المسيب، وعبد بن حميد في «مسنده» عن ابن عباس، ومجاهد، وذكره السيوطي في الدرّ المنثور ١/ ٣١٠).

«والخُشْعةُ: أكمة لاطئة بالأرض»، والجمع «خُشْعٌ» (النهاية في غريب الحديث والأثر، الجزء الثاني ص: ٣٤، ٣٥).

شرح الحديث:

هذا الحديث الشريف الذي استغربه العلماء في القديم والحديث يحوي حقيقة علمية لم يدركها الإنسان إلا في منتصف الستينيات من القرن العشرين؛ فبعد مجاهدة طويلة استغرقت جهود آلاف من العلماء، وقروناً طويلة من الدراسة ثبت للإنسان أن أرضنا الابتدائية غمرت بالماء غمراً كاملاً بعد خلقها حتى لم يبق ظاهراً منها شيء من اليابسة.ثم شاءت إرادة الله ـ تعالى ـ أن يفجر قاع هذا المحيط الغامر بثورة بركانية عنيفة ظلت تلقي بالحمم التي تراكمت فوق بعضها البعض مكونة سلسلة جبلية في وسط هذا المحيط الغامر، وظلت هذه السلسلة الجبلية في الارتفاع حتى برزت أعلى قمة فيها فوق سطح الماء مكونة أول جزء من اليابسة، على هيئة جزيرة بركانية تشبه العديد من الجزر البركانية المنتشرة في محيطات اليوم، من مثل جزر اليابان والفلبين وأندونيسيا وهاواي، ولا تزال هذه الجزر البركانية تتكون على هيئة قمم السلاسل الجبلية المحيطية (حواف أواسط المحيطات) في أيامنا هذه.

وباستمرار النشاط البركاني نمت هذه الجزيرة البركانية الأولية بالتدريج بواسطة عملية الدحو (أي المد والبسط والإلقاء) والإضافة والنمو، بواسطة الثورات البركانية المتلاحقة حتى تكونت اليابسة على هيئة قارة واحدة عرفت باسم قارة بانجيا (Pangaea) أو القارة الأم. ولعل هذا من مقاصد الآية الكريمة

التي يقول فيها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠].

ثم شاءت إرادة الله ـ تعالى ـ أن يمزق هذه القارة الأم بواسطة شبكة من الصدوع والخسوف الأرضية فتقطعت إلى القارات السبع المعروفة لنا اليوم التي ظلت تتباعد بعضها عن بعض حتى وصلت إلى أوضاعها الحالية، وتسمى هذه العملية باسم: «دورة المحيط واليابسة» التي فيها يتحول جزء من قاع المحيط إلى يابسة بواسطة الثورات البركانية المتكررة، كما تنشق اليابسة بواسطة الصدوع والخسوف الأرضية إلى كتلتين متوازيتين يفصلهما بحر طولي من مثل البحر الأحمر يظل يتسع باستمرار حتى يتحول إلى محيط.

وقول رسول الله ﷺ من قبل ألف وأربعمائة سنة بهذا الحديث المعجز: «**كانت الكعبة خشعة على الماء فدحيت منها الأرض**» يعتبر سبقاً علمياً معجزاً يشهد له ﷺ بأنه كان موصولاً بالوحي ومعلّماً من قبل خالق السمٰوات والأرض.

ويزيد الحديث فوق العلم الكسبي حقيقة علمية أخرى مؤداها أن اليابسة تحت الكعبة المشرفة تعتبر أقدم يابسة على وجه الأرض، كما تعتبر أقدم صخور الأرض على الإطلاق، وهو ما لم يتمكن العلم المكتسب من إثباته بعد، وعلى المسلمين أن يحققوا هذه القضية بتحديد العمر المطلق للصخور القائمة تحت الكعبة المشرفة بواسطة العناصر المشعة الموجودة فيها ـ إن وجدت ـ حتى يمكن تقديم هذه الحقيقة العلمية للناس كافة من المسلمين وغير المسلمين: مما يعتبر وثيقة دامغة في عصر العلم والتقنية الذي نعيشه، وحجة بالغة على الناس كافة وشهادة مؤكدة بنبوة هذا النبي الخاتم والرسول الخاتم ﷺ، وبكرامة هذه البقعة الطاهرة التي اختارها الله ـ تعالى ـ بعلمه المحيط ليقام فيها أول بيت وضع للناس في الأرض، وليجعله الله تعالى قبلة للمؤمنين، ومحجًّا ومعتمراً لهم، وليضاعف من بركاته فيجعل الحسنة فيه بمائة ألف ضعف، وليُحَرِّمه ويحرم أرضه يوم خلق السمٰوات والأرض.

* * *

سادساً: الإشارة إلى أن الأرض في مركز الكون، وأن الحرم المكي في مركز الأرض الأولى ومن دونه ست أرضين

روى مجاهد عن رسول الله ﷺ قوله: «**إن الحرم حرم مناء من السمٰوات السبع والأرضين السبع**» (أخبار مكة عن مجاهد، شعب الإيمان للبيهقي).

شرح الحديث:

لفظة «**مناء**» معناها: قصده وفي حذاه، و«المنى» ـ مقصور ـ الذي يوزن به، والتثنية: «منوان» والجمع: «أمناء»، يقال داري «منا» فلان أي: في مقابلتها.

● ومعنى هذا الحديث الشريف أن الكعبة المشرفة هي مركز الكون؛ لأن القرآن الكريم يقابل دوماً بين الأرض والسمٰوات، على ضآلة حجم الأرض النسبية إذا قورنت بضخامة السماء الدنيا وحدها فضلاً عن السمٰوات السبع. وهذه المقابلة لا يمكن أن تكون إلا إذا كان للأرض موقع خاص في مركز الكون.

● ويؤكد هذا الاستنتاج ما ذكره القرآن الكريم في عشرين آية من آياته مؤكداً وجود بينية تفصل السمٰوات عن الأرض وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبإ: ٣٧]. وجاءت الإشارة إلى هذه البينية الفاصلة في تسعة عشر آية قرآنية أخرى: (المائدة: ١٧، ١٨؛ الحجر: ٨٥؛ مريم: ٦٥؛ طه: ٦؛ الأنبياء: ١٦؛ الفرقان: ٥٩؛ الشعراء: ٢٤؛ الروم: ٨؛ السجدة: ٤؛ الصافات: ٥؛ صٓ: ١٠، ٢٧، ٦٦؛ الزخرف: ٨٥؛ الدخان: ٣٨، ٧؛ الأحقاف: ٣؛ قٓ: ٣٨)، وجاءت هذه البينية مرة فاصلة للسماء عن الأرض (السماء والأرض وما بينهما) ومرة أخرى فاصلة بين السمٰوات والأرض (السمٰوات والأرض وما بينهما)، ولا يمكن لهذه البينية أن تقوم إلا إذا كانت الأرض في مركز الكون.

● دليل ثالث من القرآن الكريم نقرؤه في «سورة الرحمٰن» حيث يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ۝٣٣ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ٣٣، ٣٤].

وقطر أي شكل هندسي هو الخط الواصل بين طرفيه مروراً بمركزه، ولا يمكن أن تكون أقطار السمٰوات متطابقة مع أقطار الأرض إلا إذا كانت الأرض في مركز هذه السمٰوات. مما سبق يتضح جانب من جوانب الإعجاز العلمي في حديث رسول الله ﷺ الذي نحن بصدده والذي يقول فيه: «**إن الحرم حرم مناء من السمٰوات السبع والأرضين السبع**».

والأرضون السبع كلها في أرضنا التي نحيا عليها، يغلف الخارج منها الداخل، والسمٰوات السبع كلها محيطة بنا في تطابق واضح حول الأرض، ويغلف الخارج منها الداخل.

والكعبة المشرفة في وسط الأرض الأولى «أي اليابسة» ومن دونها ست أرضين، وهي بذلك مناء من السمٰوات السبع والأرضين السبع.

وهذه حقائق لا يمكن لعلم الإنسان أن يصل إليها؛ لأن أقصى ما يمكن أن يصل إليه علم الإنسان هو شريحة صغيرة جداً من السماء الدنيا المحيطة بنا والتي زينها الله ـ تعالى ـ بالمصابيح من النجوم. وحتى هذه الشريحة في تمدد مستمر بحيث إن الإنسان كلما طور أجهزته في محاولة للوصول إلى أطرافها وجد أنها قد تجاوزته؛ وذلك لأن السماء في تمدد مستمر، وسرعة تمدد الكون تزيد على إمكانيات وتقنيات الإنسان مهما تطورت، فلا يصل إلى ذلك أبداً..! ومن هنا كان تحدي القرآن الكريم لكل من الإنس والجن أنهم لن يستطيعوا الخروج من أقطار السمٰوات والأرض إلا بسلطان من الله ـ تعالى ـ. ولولا أن القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ قد أعلمتنا أن هناك سبع سمٰوات متطابقة، وأن هناك سبع أرضين مثلها متطابقة في مركز هذه السمٰوات السبع، وأن الكعبة المشرفة مناء من السمٰوات السبع والأرضين السبع، ما كان أمام الإنسان من وسيلة لإدراك ذلك أبداً، على الرغم من أن دراسات التركيب الداخلي للأرض قد أثبتت وجود سبعة

نطق أرضية متمايزة يغلف الخارج منها الداخل، فلا بد أن تكون السمٰوات السبع متطابقة كذلك يغلف الخارج منها الداخل، خاتمة أن الدراسات الفلكية الحديثة قد أثبتت بالعديد من الأدلة الرياضية أن كوننا كونٌ منحنٍ، وهذه الملاحظة وحدها كافية لإثبات تطابق كل من السمٰوات السبع والأرضين السبع حول مركز واحد هو مركز أرضنا، والذي تتوسط الكعبة المشرفة منها الأرض الأولى، فتكون مناء من السمٰوات السبع والأرضين السبع.

من هنا تتضح لمحة من لمحات الإعجاز العلمي في قول المصطفى ﷺ: «**إن الحرم حرم مناء من السمٰوات السبع والأرضين السبع**»، وقوله أيضاً ﷺ في حديث آخر: «**البيت المعمور منا مكة**»، ووصفه ﷺ البيت المعمور ـ كما جاء في تفسير القرطبي ـ بأنه: «**بيت في السماء السابعة على حيال الكعبة تماماً حتى لو خرَّ لخرَّ فوقها**»، وهذا كلام لا يمكن أن يصدر إلا عن نبي موصول بالوحي، ومُعلَّم من قبل خالق السمٰوات والأرض.

* * *

سابعاً: التأكيد على ثبات السنن الكونية

قال رسول الله ﷺ: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته...**».

هذا الحديث النبوي الشريف رواه البخاري في صحيحه (حديث رقم: ٩٩٤، باب: الصلاة في كسوف الشمس، كتاب الكسوف) عن أبي مسعود حيث قال:

● حَدَّثَنَا شِهَابُ بْنُ عَبَّادٍ قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنْ قَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَسْعُودٍ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَقُومُوا فَصَلُّوا**».

● حَدَّثَنَا أَصْبَغُ قَالَ أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَمْرٌو عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

الْقَاسِمِ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ كَانَ يُخْبِرُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا**» صحيح البخاري (حديث رقم: ٩٨٤).

● حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: خَسَفَتْ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ، ثُمَّ قَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ ثُمَّ فَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْأُولَى ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ انْجَلَت الشَّمْسُ فَخَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّهَ وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا**» ثُمَّ قَالَ: «**يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنْ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً**» صحيح البخاري (حديث رقم ٩٧٧، باب الصدقة في الكسوف).

ورواه أيضاً كلٌّ من: مسلم في صحيحه رقم: ٩٠١ كتاب: الكسوف. والنسائي في سننه حديث رقم: ١٤٥٩ باب: كسوف الشمس والقمر، كتاب: الكسوف. وأبو داود في سننه حديث رقم: ١٧٧ باب: صلاة الكسوف، كتاب: الصلاة. وابن ماجه في سننه حديث رقم: ١٢٦٣ كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها. وأحمد في مسنده حديث رقم: ٢٧١١.

شرح الحديث:

وكسوف الشمس (أو انخسافها) يتم نتيجة لوقوع القمر بين كل من الأرض والشمس فيحجب أشعتها عنا، وقد يكون هذا الكسوف كليًّا (يحجب قرص الشمس بالكامل منا)، ويحدث ذلك في حزام محدود على نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس، فيتحول النهار ليلاً خلال دقائق معدودة، وإلى الشمال والجنوب من هذا الشريط يكون الكسوف جزئياً، أي يحجب جزءاً من الشمس

فقط، ويتناقص الجزء المكسوف من الشمس بالبعد عن حزام الكسوف الكلي في اتجاه القطبين.

وقد جاء في الحديث الشريف الذي نحن بصدده: «**أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته**» بمعنى أنهما ظاهرتان كونيتان دائبتا الحدوث بغض النظر عن موت الأفراد وحياتهم، كما كان يدعي عدد من الناس في جزيرة العرب وفي غيرها من بلدان العالم الذين كانوا ينسبون تلك الظواهر الكونية لميلاد عظيم أو وفاته، وجاء حديث المصطفى ﷺ لينفي تلك الخرافات نفياً قاطعاً، وليؤكد دورية حدوث هذه الظواهر الكونية.

ويحدث كسوف الشمس عندما يحجبها القمر بظله عن أهل الأرض، وقد ثبت علميًّا أن القمر يتبعه مخروط من الظل بفضل حجبه أشعة الشمس كلياً أو جزئياً عن الأرض. وفي دورة القمر حول الأرض يمر معه مخروط ظله، وفي وقت الاقتران الذي يحدث مرة في كل شهر قمري، يكون القمر متوسطاً تماماً بين الشمس والأرض فيحجب ضوء الشمس عن أهل الأرض كليًّا أو جزئياً، وفي معظم شهور السنة ينحرف القمر في مروره بيننا وبين الشمس فلا ينحجب ضوءها عنا، وبالتالي لا تنكسف الشمس، ويحدث كسوف الشمس من مرتين إلى خمس مرات في السنة، ويمكن للكسوف الكلي أن يدوم لمدة تصل إلى سبع دقائق ونصف الدقيقة. أما خسوف القمر فيحدث بدخوله في ظل الأرض الذي يتكون مع سبح الأرض في مدارها حول الشمس، وهي ظاهرة ترى من جميع الأرض. ولكن في معظم شهور السنة يمر القمر فوق أو تحت مخروط ظل الأرض، ويتحاشاه فلا ينخسف، وخسوف القمر قد يكون كليًّا أو جزئياً، ويحدث الخسوف والقمر في بدر التمام، ويمكن للخسوف الكلي للقمر أن يستمر إلى مائة دقيقة، ويخسف القمر ثلاث مرات في الشهر كحد أقصى.

ولذلك فإن حوادث الكسوف الكلي للشمس هي حوادث نادرة، وفي أثناء كسوف الشمس يتوسط القمر بيننا وبينها وقد يحدث أن يبقى من أطراف الشمس ما يشبه الحلقة المضيئة تحيط بقرص القمر المظلم، ويسمى هذا الكسوف باسم:

«الكسوف الكلي للشمس» وعند حدوث الكسوف الكلي للشمس تظلم السماء، وتظهر النجوم في منتصف النهار، وينتقل الناس في دقائق معدودات من وضح النهار إلى ما يشبه الليل، مما يدعو إلى شيء من الذعر والانقباض ليس عند الإنسان فحسب بل عند جميع المخلوقات فتأوي الطيور إلى أوكارها، والحيوانات إلى جحورها، أو تخلد إلى شيء من السكون والحذر.

وفي لحظات كسوف الشمس تقل كمية الطاقة الشمسية الواصلة إلينا، فتنخفض درجة حرارة الأرض، وعلى العكس من ذلك فإنه في لحظات خسوف القمر تزداد كمية الطاقة الشمسية الواصلة إلينا فترتفع درجة الحرارة نسبياً لدقائق معدودة، ولما كانت هذه الأمور محسوبة بدقة بالغة، فإن الأرض تكون معرضة خلال هاتين الظاهرتين الكونيتين لمخاطر لا يعلمها إلا الله، ومن هنا كانت وصية رسول الله ﷺ بالإكثار من ذكر الله بتحميده وتكبيره وتمجيده، باللجوء إلى الصلاة، والمبادرة بإخراج الصدقات لعلّ الله ـ تعالى ـ أن يكشف تلك المخاطر عن الأرض ومن عليها، فلا تزال هاتان الظاهرتان تكتنفان من المخاطر والأسرار ما لا يعلمه إلا الله!

ولذلك جاء في نصوص أخرى لنفس الحديث الذي نحن بصدده قول المصطفى ﷺ: «**فافزعوا إلى الصلاة**». ومعنى قوله: هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته، ولكن يخوف الله بها عباده. فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره. ويعجب الإنسان من هذا العلم النبوي الدقيق الذي نطق به ﷺ منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، في زمن كان الناس غارقين إلى آذانهم في محيط من الخرافات والأساطير، ولم يكن لأحد من الناس علم بتلك الحقائق الكونية التي بدأت في التكشف لعلم الإنسان منذ عشرات قليلة من السنين، وهذا الحديث الشريف وحده يكفي أن يكون شهادة حق لنبوة هذا النبي الخاتم، والرسول الخاتم ﷺ، الذي كان موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السمٰوات والأرض.

* * *

ثامناً: التأكيد على وجود براكين نشطة في أرض الحجاز

قال رسول الله ﷺ: **لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى**» أخرجه البخاري في صحيحه (حديث رقم: ٦٧٠٢، كتاب: الفتن وأشراط الساعة) قال:

● حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى**».

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (حديث رقم: ٢٩٠٢، باب: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز) قال:

حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ جَدِّي حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى**».

شرح الحديث:

هذا الحديث الشريف إشارة علمية دقيقة إلى حقيقة من حقائق أرض الحجاز لم تدرك إلا في منتصف القرن العشرين حين بدئ في رسم الخريطة الجيولوجية لأرض شبه الجزيرة العربية، وكان من نتائج ذلك إثبات انتشار الطفوح البركانية على طول الساحل الغربي لجزيرة العرب من عدن جنوباً إلى المرتفعات السورية شمالاً، عبر كل من الحجاز والأردن وفلسطين، مغطية مساحة من تلك الطفوح تقدر بحوالي مائة وثمانين ألفاً (١٨٠,٠٠٠ كم^{٢}) من الكيلومترات المربعة، ومكونة واحداً من أهم أقاليم النشاط البركاني الحديث في العالم، ويقع نصف هذه المساحة تقريباً في أرض الحجاز (حوالي تسعين ألفاً من الكيلومترات المربعة) موزعة في ثلاثة عشر حقلاً بركانياً تعرف باسم الحرات، وأغلب هذه

الحرات تمتد بطول الساحل الشرقي للبحر الأحمر ممتدة في داخل أرض الحجاز بعمق يتراوح بين ١٥٠ كيلومتراً، و٢٠٠ كيلومتر، ويعتقد بأن هذه الطفوح البركانية قد تدفقت عبر عدد من الصدوع الموازية لاتجاه البحر الأحمر، ومن فوهات مئات من البراكين المنتشرة في غربي الحجاز، كما يعتقد بأن تلك الصدوع والبراكين لا تزال نشطة منذ نشأتها وإلى يومنا الحاضر، وأنها قد تسببت في العديد من الهزات الأرضية، كما تم مشاهدة تصاعد أعمدة من الغازات والأبخرة الحارة من عدد من تلك الفوهات البركانية التي لا تزال نشطة حتى اليوم.

والحرات الثلاث عشرة المنتشرة في أرض الحجاز هي من الجنوب إلى الشمال: حرة السراة، البرك، البقوم، النواصف، هادان، الكشب، رهط، حلة أبو نار، خيبر، إشارة، العويرض، الشامة والحماد، بالإضافة إلى عدد آخر من الحرات الصغيرة في مساحاتها.

وتقع المدينة المنورة (على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم) بين حرة رهط في الجنوب، وحرة خيبر في الشمال، وتمتد حرة رهط من جنوب المدينة المنورة شمالاً، إلى وادي فاطمة بالقرب من مكة المكرمة جنوباً عبر مسافة تقدر بحوالي ٣١٠ كيلومترات في الطول، وستين كيلومتراً في متوسط العرض لتغطي مساحة تقدر بحوالي ١٩٨٣٠ كيلومتراً مربعاً، وبسمك متوسط يقدر بحوالي مائة متر وإن كان يصل إلى أربعمائة متر في بعض الأماكن.

ويوجد في حرة رهط وحدها أكثر من سبعمائة فوهة بركانية، ويقع الجزء الشمالي من هذه الحرة إلى الجنوب من المدينة المنورة مباشرة ويعتبر من أكثر أجزاء تلك الحرة نشاطاً؛ لأنه قد شهد أكثر من ثلاث عشرة ثورة بركانية وتدفقاً للحمم خلال الخمسة آلاف سنة الماضية (بمتوسط ثورة بركانية واحدة كل أربعمائة سنة تقريباً) منها ثورة سنة ٢١هجرية (٦٤٤ ميلادية)، وثورة سنة ٦٥٤هـ (١٢٥٦ ميلادية) واللتان سُبِقتَا بعدد من الهزات الأرضية العنيفة وأصوات الانفجارات الشديدة.

وقد كونت الثورة البركانية الأخيرة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) ستة مخاريط بركانية جديدة، ودفعت بطفوحها لمسافة زادت على ثلاثة وعشرين كيلومتراً من الشمال إلى الجنوب، وامتدت حتى الطرف الجنوبي لموقع مطار المدينة المنورة الحالي، ثم تحولت إلى الشمال لطفاً بأهل المدينة، وكرامة لساكنها بعد أن أصاب الناس كثير من الذعر والهلع بسببها.

ويوجد في حرة خيبر أكثر من أربعمائة فوهة بركانية تضم عدداً من أحدث تلك الفوهات عمراً وأكثرها نشاطاً، فقد تم تسجيل أكثر من ثلاثمائة هزة أرضية خفيفة، حول إحدى تلك الفوهات البركانية في سنة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، مما يوحي بتحرك الصهارة الصخرية تحت ذلك المخروط البركاني ويهدد بإمكانية انفجاره بثورة بركانية عارمة في أية لحظة من الآن.

وتشير الدراسات العلمية التي أجريت على منطقة الحجاز إلى أن الثورات البركانية التي كونت حرة رهط قد بدأت منذ عشرة ملايين من السنين على الأقل، وأنها تميزت بتتابع عدد من الثورات البركانية التي تخللتها فترات من الهدوء النسبي، ونحن نحيا اليوم في ظل إحدى هذه الفترات الهادئة نسبيًّاً.

ومعنى هذا الكلام أن المنطقة مقبلة حتماً على فترة من الثورات البركانية تندفع فيها الحمم من تلك الفوهات والصدوع كما اندفعت من قبل بملايين الأطنان فتملأ المنطقة ناراً ونوراً تصديقاً لنبوءة المصطفى ﷺ قال فيها: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى**». وبصرى مدينة في جنوب بلاد الشام (سوريا).

كذلك فإن حرة خيبر الواقعة شمال المدينة المنورة تعتبر أكبر هضبة بركانية في أرض الحجاز، حيث تغطي قرابة عشرين ألف كيلومتر مربع، بسمك يتراوح بين الخمسمائة وألف متر، وتمثل هذه الحرة عدة طفوح بركانية متتالية، يتركز أحدثها في وسط الحرة حيث تنتشر غالبية الفوهات البركانية الحديثة في حزام يمتد بطول ثمانين كيلومتراً موازياً لاتجاه البحر الأحمر، وبعرض ١٥ كيلومتراً في المتوسط.

وقد تم تسجيل زلزالين كبيرين وقعا في حرة خيبر، أحدهما في سنة ٤٦٠هـ (١٠٥٧م)، والآخر في سنة ٦٥٤هـ (١٢٥٦م)، وقد سبقت الزلزال الأخير أصوات انفجارات عالية، تلتها ثورة بركانية كبيرة، وصاحبتها هزات أرضية استمرت بمعدل عشر هزات يومياً لمدة خمسة إلى ستة أيام قدرت شدة أكبرها بحوالي خمس درجات ونصف الدرجة على مقياس ريختر، وقد كونت هذه الثورة البركانية الأخيرة عدداً من المخاريط البركانية، ودفعت بملايين الأطنان من الحمم في اتجاه الجنوب، ولا تزال تلك المخاريط تتعرض لأعداد كبيرة من الرجفات الاهتزازية الخفيفة التي توحي بأن الصهارات الصخرية تحت هذه المخاريط البركانية لا تزال نشطة، مما يؤكد حتمية وقوع ثورات بركانية عارمة تخرج من أرض الحجاز في المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله، وذلك تصديقاً لنبوءة النبي الخاتم، والرسول الخاتم ﷺ وشهادة له بالنبوة وبالرسالة.

* * *

تاسعاً: التأكيد على أن من العلامات الكبرى للساعة «طلوع الشمس من مغربها»

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ**» (رواه البخاري حديث رقم: ٤٢٦٩).

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال في العلامات الكبرى للساعة:

«**إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجاً طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيباً**» (رواه مسلم حديث رقم: ٥٢٣٤).

وكان أعداء الإسلام من الدهريين عرباً وعجماً ومستشرقين يستبعدون طلوع الشمس من مغربها قائلين إن الشمس منذ أن أدركها الإنسان وهي تطلع عليه من

المشرق وتغيب في المغرب، وكانوا لا يتخيلون قوة على وجه الأرض أو في صفحة الكون يمكنها إحداث مثل ذلك التغيير الهائل في شروق الشمس وغروبها.

ولكن منذ سنوات قليلة بدأ علماء الأرض في استقراء مناخات الأرض في الأزمنة الغابرة كما هي مدونة في جذوع النباتات، وفي هياكل الحيوانات، وفي رسوبيات كتل الجليد التي زحفت على اليابسة من قطبي الأرض، ومن قمم الجبال، وفي مختلف انواع الرسوبيات البحرية والقارية، وفي بقية صخور الأرض وما تحتويه من بقايا الحياة خاصة حبوب اللقاح الخاصة بالنباتات والتي تحفظ بأعداد هائلة في كافة الرسوبيات والصخور الرسوبية، وتكثر بشكل واضح في رسوبيات البحيرات ودالات الأنهار وشواطئ البحار، وكثيراً ما يقطع تلك الرسوبيات أسطح جفاف انحسرت عنها المياه لتراجع البحار أو ندرة الأمطار، وتحتفظ تلك الأسطح بمعادن تعكس صورة كاملة عن تركيب كل من الغلافين الغازي والمائي المحيطين بالأرض، ودرجة حرارة كل منهما، ودرجة حموضته. وكل من الحلقات السنوية في سيقان النباتات، وخطوط النمو في هياكل الحيوانات تمثل سجلاً رائعاً للتغيرات المناخية التي تدون فوراً وبدقة بالغة في كل منهما.

وفي دراسة حديثة للتغيرات المناخية كما هي مدونة على الحلقات السنوية في جذوع النباتات اتضح أن كل حلقة من تلك الحلقات السنوية مكونة من أعداد كثيرة من الحلقات تمثل الفصول المناخية الأربع (الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء)، وشهور السنة الاثني عشر، وهي شهور قمرية، وعدد الأسابيع في كل شهر قمري، والأيام السبعة من كل أسبوع، والليل والنهار في كل يوم.

وفي غمار هذا البحث لاحظ الدارسون زيادة عدد أيام السنة مع زيادة تقادمها، وأدركوا أن التفسير الوحيد لتلك الزيادة في عدد أيام السنة مع تقادم الزمن هو تزايد سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، هذه السرعة التي تزيد من عدد كل من الأيام والأسابيع في السنة، وتقصر من طول اليوم (بليله ونهاره) مع بقاء عدد الفصول والشهور في السنة ثابتاً.

وبرسم أعداد كبيرة لمنحنيات تظهر عدد أيام السنة في العصور الجيولوجية المختلفة مع الزمن اتضح أن عدد أيام السنة عند بدء خلق الأرض كان أكثر من ألفي يوم، وأن طول الليل والنهار معاً كان أقل من أربع ساعات، ويعجب الإنسان من الإشارة القرآنية المبهرة إلى تلك الحقيقة الكونية الثابتة من قبل ألف وأربعمائة من السنين، والإنسان لم يصل إلى إدراك شيء عنها إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقد اتضح هذا التناقص المستمر في سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس من دراسة خطوط النمو في هياكل العديد من الحيوانات مثل: الشعاب المرجانية القديمة، وبقاياها في صخور العصور الجيولوجية المتقدمة، وقد فسر هذا التناقص المستمر في سرعة دوران الأرض حول محورها بالاحتكاك الناتج عن كل من عملية المد والجزر، وهبوب الرياح في الاتجاه المعاكس لاتجاه الدوران، وكلاهما يعمل عمل الكابح الذي يبطئ من سرعة دوران الأرض حول محورها جزءاً من الثانية في كل من الزمن.

وبرسم منحنيات مستقبلية لعملية تباطؤ سرعة دوران الأرض حول محورها اتضح أنه لا بد لتلك العملية من أن تجبر الأرض ـ في مستقبل أمرها ـ على تغيير اتجاه دورانها الحالي (من الغرب إلى الشرق فتبدو الشمس طالعة من الشرق، وغائبة في الغرب) إلى أن تدور بعكس اتجاهها الحالي فيصبح دورانها من الشرق إلى الغرب فتطلع الشمس من مغربها. وهذا الحدث الكوني الكبير من العلامات الكبرى للساعة ومن نبوءات المصطفى ﷺ التي كان كثير من أعداء الإسلام يستبعدون حدوثها، فإذا بالعلوم الكونية تثبت إمكانية بل حتمية حدوثها!

وهنا يلزم التنبيه إلى أن الآخرة لها من السنن والقوانين ما يغاير سنن الدنيا، ولكن من رحمة الله بنا أن يُبقِي لنا في سنن الدنيا وشواهدها المادية ما يؤكد إمكانية حدوث الآخرة بكل مقدماتها وعلاماتها والظواهر المصاحبة لها،

فلا يجوز لعاقل أن يتصور إمكانية حساب وقت طلوع الشمس من مغربها بواسطة معرفة معدلات تباطؤ سرعة دوران الأرض حول محورها، لأن وقوع الآخرة أمر إلٰهي لا يحتاج إلى سنن أو ظواهر أو تباطؤ في معدلات حركة الأرض، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء والمرسلين الذي أخبرنا عن حتمية طلوع الشمس من مغربها كإحدى العلامات الكبرى للساعة، وذلك من قبل ألف وأربعمائة سنة، ثم تأتي العلوم الكونية باستقراء ذلك حقيقة مدونة في أحافير الحيوانات والنباتات، وهياكل الأحياء منها، وذلك منذ عشرات قليلة من السنين، ولا يمكن لعاقل أن يتخيل مصدراً لتلك المعلومة الكونية المستقبلية من قبل أربعة عشر قرناً غير وحي الله الخالق الذي أنعم الله ـ تعالى ـ به على خاتم أنبيائه ورسله، وخيرته من خلقه سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ.

* * *

عاشراً: قائمة ببعض الأحاديث النبوية الشريفة المحتوية على عدد من الإشارات العلمية مرتبة حسب موضوعاتها

الله الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية:

١ ـ كان الله ولم يكن شيء غيره.

من أحاديث الكونيات:

١ ـ الأراضون السبع.

٢ ـ البحر المسجور.

٣ ـ إرساء الأرض بالجبال.

٤ ـ المطر فضل من الله ورحمة.

٥ ـ «ما من عام بأقل مطراً من عام».

٦ ـ «ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله...».

٧ ـ «ماء زمزم لما شرب له».

٨ ـ «كانت الكعبة خشعة على الماء، فدحيت منها الأرض».

٩ ـ «إن الحرم حرم مناء من السمٰوات السبع والأرضين السبع».

١٠ ـ «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته...».

١١ ـ «انشقاق القمر كرامة لرسول الله ﷺ».

١٢ ـ «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السمٰوات والأرض».

١٣ ـ «النجوم أَمَنَةٌ للسماء».

١٤ ـ «إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: الحديد والنار والماء والملح».

١٥ ـ «هي على رسلها لا تبرح ولا تزول...».

١٦ ـ «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته...».

من أحاديث خلق الإنسان:

١ ـ «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض...».

٢ ـ «خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً...».

٣ ـ آدم عليه السلام آخر الخلق.

٤ ـ أخذ الميثاق على بني آدم وهم في عالم الذر.

٥ ـ «ما من كل الماء يكون الولد».

٦ ـ «من كل يخلق الإنسان: من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة».

٧ ـ النطفة المخلقة وغير المخلقة.

٨ ـ «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك...».

٩ ـ موعد نفخ الروح في الجنين.

١٠ ـ تحديد صفات الجنين وجنسه بأمر من الله ـ تعالى ـ.

١١ ـ تحديد جنس الوليد بإذن من الله ـ تعالى ـ.

١٢ ـ تحديد شبه الوليد.

١٣ ـ نسبة كل مولود إلى أبينا آدم عليه السلام.

١٤ ـ «إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل...».

١٥ ـ «لعل نزعه عرق».

١٦ ـ «إن العرق دساس».

١٧ ـ الله خالق كل نفس.

١٨ ـ خلق الإنسان من عجب الذنب.

من أحاديث المفضل من الطعام:

١ ـ «لا يجوع أهل بيت عندهم التمر».

٢ ـ «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين».

٣ ـ «كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه مبارك».

٤ ـ «نعم الإدام الخل».

٥ ـ «لو تعلم أمتي ما في الحلبة لاشتروا ولو بوزنها ذهباً».

٦ ـ «العدس أكله يرقق القلب، ويدمع العينين، ويذهب الكبر».

٧ ـ «لو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة: قلت التين...».

٨ ـ «ما من رمانة إلا وفيها حبة من رمان الجنة».

من أحاديث المحرمات من الطعام:

١ ـ «تحريم أكل كل ذي ناب ومخلب».

٢ ـ «النهي عن أكل الجلالة وعن شرب ألبانها».

٣ ـ «التحذير من مرض جنون البقر».

من أحاديث الوقاية والأشفية:

١ ـ «إن الله أنزل الداء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام».

٢ ـ «في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام».

٣ ـ «التلبينة مجمة لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحزن».

٤ ـ «عليكم بالسَّنا والسّنوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام».

٥ ـ «إن كان في شيء من أدويتكم شفاء ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعَة بنار وما أحب أن أكتوي».

٦ ـ «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء».

من أحاديث السلوكيات:

١ ـ «يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة».

٢ ـ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

٣ ـ «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

٤ ـ «الطهور شطر الإيمان».

٥ ـ «خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب».

٦ ـ «صوموا تصحوا».

٧ ـ «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة».

٨ ـ «إن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحدس بعدها».

٩ ـ «العيافة، والطيرة، والطَّرق من الجبت».

١٠ ـ «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا».

من أحاديث الموت والبعث:

١ ـ «كل ابن آدم تأكل الأرض إلا عَجْب الذنب، منه خلق، وفيه يركب».

٢ ـ «البعث من عجب الذنب».

من أحاديث الساعة:

١ ـ «لن تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً».

٢ ـ «طلوع الشمس من مغربها».

٣ ـ «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى».

٤ ـ «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جناناً».

٥ ـ «من علامات الساعة: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاءَ الشاء يتطاولون في البنيان».

٦ ـ «يطوي الله السمٰوات يوم القيامة».

ملاحظة: يُكلف كل دارس لهذا المساق اختيار أحد الأحاديث السابقة وإعداد بحث عنه.

خاتمة

القرآن الكريم هو الصورة الوحيدة من كلام رب العالمين المحفوظة بين أيدي الناس اليوم بنفس لغة وحيها ـ اللغة العربية ـ ولذلك فهو معجز في كل أمر من أموره؛ لأنه لا بد وأن يكون مغايراً لكلام البشر، فهو معجز في بيانه ونظمه؛ لأنه ليس بالشعر ولا بالنثر، ولكنه نمط من العربية فريد، وصياغة متميزة، لم يدركها فصحاء العرب وبلغاؤهم وهم في قمة من قمم الفصاحة والبلاغة وحسن البيان، وعجزوا عن الإتيان بشيء من مثله.

وبما أن القرآن الكريم هو بيان من الله تعالى فلا بد وأن يكون كل ما فيه حقاً مطلقاً: حديثه عن العقيدة؛ وهي غيب مطلق، وعن العبادة؛ وهي أوامر إلٰهية محضة، وعن كل من الأخلاق والمعاملات؛ وهي ضوابط للسلوك.والتاريخ يؤكد لنا أن الإنسان كان عاجزاً دوماً عن وضع ضوابط في أي من هذه القضايا لنفسه بنفسه.

وكذلك إشارات القرآن الحكيم إلى الكون ومكوناته وبعض أشيائه وظواهره؛ لأنه كلام الخالق، ومن أدرى بالخلق من خالقه؟!، واستعراضه لسير أعداد من الأنبياء السابقين، والأمم البائدة التي لم يدون لنا التاريخ شيئاً عنها، والاكتشافات الأثرية المتتابعة تثبت صدق القرآن الكريم في جميع ما أورد عن هذه الأمم التي تم الكشف عن بعض آثارها من مثل كلٍّ من قوم عاد، وقوم ثمود، وفرعون، موسى عليه السلام وغيرهم.

والقرآن الكريم هو أيضاً معجز في دستوره التربوي الفريد، وفي خطابه إلى النفس الإنسانية وارتقائه بها في معارج الله العليا، إلى ما لا يمكن لأي خطاب

آخر أن يصل، وفي إنبائه بعدد من الغيوب التي تحققت من قبل ولا تزال تتحقق، وفي تحديه للإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بسورة من مثله دون أن يتمكن عاقل من التقدم ليقول: نعم لقد استطعت أن أكتب سورة من مثل سور القرآن الكريم.

وعلى ذلك تتعدد جوانب الإعجاز القرآني ـ بمعنى عجز البشر عن الإتيان بشيء من مثله ـ بتعدد الزوايا التي ينظر منها إنسان محايد إلى كتاب الله، ومن هذه الجوانب:

١ ـ الإعجاز اللغوي، الأدبي، البياني، البلاغي، النظمي، اللفظي، والدلالي.

٢ ـ الإعجاز العقدي (الاعتقادي).

٣ ـ الإعجاز التعبدي (العبادي).

٤ ـ الإعجاز الأخلاقي؛ بمعنى مواءمته للطبيعة البشرية بغير غلو ولا إقلال.

٥ ـ الإعجاز التشريعي كما يتضح في فقه المعاملات.

٦ ـ الإعجاز التاريخي الذي تؤكده الاكتشافات الأثرية للأمم البائدة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم.

٧ ـ الإعجاز التربوي.

٨ ـ الإعجاز النفسي.

٩ ـ الإعجاز الاقتصادي.

١٠ ـ الإعجاز الإداري.

١١ ـ الإعجاز الإنبائي أو الإعلامي بأمور غيبية غيبة مؤقتة أو مطلقة.

١٢ ـ الإعجاز العلمي.

١٣ ـ إعجاز التحدي للإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بشيء من مثله في أسلوبه، أو مضمونه أو محتواه، ولم يتمكن أحد من ذلك.

١٤ ـ إعجاز حفظه بنفس لغة وحيه ـ اللغة العربية ـ على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وإلى أن يشاء الله، دون أن يضاف إليه حرف واحد أو أن ينتقص منه حرف واحد، في الوقت الذي تعرضت فيه كل صور الوحي السابقة للضياع، وما بقي من ذكريات عن بعضها على هيئة ترجمات غير معلوم من قاموا بها، ولا الأصول التي ترجمت عنها، ولا متى كتبت ولا أين كتبت، ولا بأي لغة كتبت؟ ثم تعرضت تلك الترجمات ـ ولا تزال تتعرض ـ للتحريف تلو التحريف، والتحرير بعد التحرير، وإلى التبديل والتغيير، وإلى الحذف والإضافة، ولا يزال ذلك مستمراً إلى يومنا هذا، مما أخرج تلك الرسالات السماوية السابقة عن إطارها الرباني، وجعلها عاجزة عن هداية أتباعها والمنتسبين إليها اسماً، وهذا هو السبب الحقيقي من وراء المظالم العديدة التي تجتاح مختلف بقاع الأرض اليوم، وتغرقها في بحار من الدماء والأشلاء، والخراب والدمار باسم الدين، والدين الحقيقي منها براء، وليس أدل على ذلك من الجرائم البشعة التي ترتكب باسم اليهودية على أرض فلسطين منذ أكثر من ستين سنة وحتى اليوم، والجرائم التي ارتكبت ولا تزال ترتكب بشراسة منقطعة النظير على أرض كل من البلقان، والعراق، وأفغانستان، والشيشان، وجنوب السودان، وجنوب الفلبين وأراكان باسم المسيحية، والجرائم التي ارتكبت ولا تزال ترتكب على أراضي الهند، وتايلاند باسم كل من الهندوكية والبوذية، والجرائم التي ارتكبت ولا تزال ترتكب في كثير من أراضي المسلمين في القديم والحديث، ولا تفتأ ذكريات الحروب الصليبية، وجراح خروج المسلمين من الأندلس تدمي قلب كل إنسان عنده بقية من إنسانية حتى اليوم، وإلى نهاية التاريخ.

وللمفاضلة بين كتب تركت لأصحابها فضيعوها، وكتاب تعهد الله بحفظه فحفظ، امتدح ربنا ـ تبارك وتعالى ـ القرآن الكريم في العديد من آياته كما امتدحه خاتم أنبيائه ورسله في العديد من أحاديثه.

والقرآن الكريم هو في الأصل كتاب هداية في أمر الدين بركائزه الأربع

الأساسية: **العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات.** ولكن الله ـ تعالى ـ يعلم بعلمه المحيط أن الإنسان سوف يصل في يوم من الأيام إلى زمن كزمننا الراهن، يفتح الله ﷻ فيه على الإنسان من معرفة بالكون وسننه ما لم يفتح من قبل، فيغتر الإنسان بالعلم ومعطياته وتطبيقاته في مختلف المجالات مما أوصل الإنسان إلى عدد من التقنيات المتقدمة خاصة في مجالات الشر، من مثل التجسس وصناعة الأسلحة غير التقليدية مما يعرف باسم أسلحة الدمار الشامل، والتطوير المذهل في القدرات التدميرية للأسلحة التقليدية، ومحاولة توظيف ذلك في الهيمنة على الشعوب الصغيرة واستنزاف ثرواتها وإذلال أبنائها. كما تفعل الولايات المتحدة وحلفاؤها في هذه الأيام.

وقد دفعت القوة المادية العمياء المصاحبة لهذه التقنيات المتطورة أبناء هذه الأمم إلى نسيان الموت، والحساب، والجزاء والآخرة، والجنة، والنار؛ خاصة وأن هذه المفاهيم وغيرها من ركائز العقيدة قد اهترأت اهتراءً شديداً في معتقدات غير المسلمين؛ مما دفع كثيراً من علمائهم إلى إنكارها والسخرية منها. وليقيم ربنا ﷻ الحجة على أهل عصرنا أبقى لنا في محكم كتابه أكثر من ألف آية كونية صريحة بالإضافة إلى آيات أخرى تقترب دلالتها من الصراحة كما أنطق خاتم أنبيائه ورسله بالعديد من حقائق الوجود، وهذه الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة تحوي من الإشارات الكونية ما لم يكن معروفاً لأحد من الخلق في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعد زمن الوحي، وذلك لأهداف عديدة، منها ما يمكن إيجازه فيما يلي:

١ ـ الشهادة للخالق بطلاقة القدرة في إبداعه لخلقه، ومن ثم الشهادة له ﷻ بالألوهية، والربوبية، والوحدانية؛ لأن كل شيء في هذا الوجود قد خلق بقدر، وفي زوجية واضحة تشهد للخالق ﷻ بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه.

٢ ـ الشهادة لله ـ تعالى ـ أنه كما أبدع هذا الكون من العدم، وعلى غير مثال سابق، فهو قادر على إفنائه إلى العدم، وعلى إعادة خلقه من جديد؛ خاصة

وأننا نرى الخلق من العدم والإفناء إلى العدم يتكرر أمام أنظارنا في صفحة السماء، حيث تتباعد المجرات عن بعضها البعض بمعدلات تقترب من سرعة الضوء، وتتخلق المادة والطاقة لملء المسافات الناتجة عن هذا التوسع من حيث لا نعلم. كذلك فإننا نرى مختلف صور المادة والطاقة تبتلع بواسطة النجوم الخانسة الكانسة ـ الثقوب السود ـ إلى حيث لا نعلم، ونرى التقاء اللبنات الأولية للمادة بأضدادها فتفنى إلى ما لا نعلم!

وعلى الرغم من ذلك بقيت قضية البعث وإنكار إمكانية وقوعه هي الحجة الرئيسة للكفار والملحدين وللحائرين المتشككين؛ لأنهم من جهلهم يقيسون على الله تعالى بمقاييس البشر، والبشر لا يقدرون على الخلق، ولا على البعث بعد الموت، بينما إرادة الله تعالى لا تحدها حدود، ولا يقف أمامها عائق.

٣ ـ هذه الإشارات الكونية في كل من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مصاغة صياغة مجملة معجزة يفهم منها أهل كل عصر معنى من المعاني يتناسب مع ما توافر لهم من علم بالكون ومكوناته وظواهره، وتظل هذه المعاني تتسع باتساع دائرة المعرفة الإنسانية باستمرار في تكامل لا يعرف التضاد، حتى يبقى القرآن الكريم مهيمناً على المعرفة الإنسانية مهما اتسعت دوائرها، تصديقاً لنبوءة المصطفى ﷺ في وصفه القرآن الكريم بأنه: «**لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد**»[1] وكذلك تبقى أحاديث هذا النبي الخاتم.

ولا يمكن لعاقل أن يتخيل مصدراً لهذا الكم الهائل من الحقائق العلمية في القرآن والسنة غير الله الخالق.

والإشارات الكونية في القرآن الكريم جاءت في أكثر من ألف آية صريحة،

---

(١) الترمذي (٢٩٠٦)، والدارمي في «سننه» (٢/ ٥٢٥، ٥٢٦) من كلام عبد الله بن مسعود، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٢٦٧).

بالإضافة إلى آيات أخرى عديدة تقترب دلالتها من الصراحة، وتشكل هذه الآيات الكونية حوالي سدس مجموع آيات القرآن الكريم، وكذلك تجاوزت الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالكون ومكوناته وظواهره المئات في العدد.

وهذه الآيات والأحاديث الكونية لا يمكن فهمها فهماً كاملاً في إطارها اللغوي فقط ـ على أهمية ذلك وضرورته ـ ولا يمكن الوصول إلى سبقها بالحقيقة الكونية ـ وهو ما نسميه بالإعجاز العلمي ـ دون توظيف الحقائق العلمية التي توافرت معرفتها لأهل زمننا؛ لأن في هذه الآيات الكونية من المحتوى العلمي ما لا يقف على دلالته إلا الراسخون في العلم ـ كل في حقل تخصصه ـ. ومن هنا كانت تلك الآيات القرآنية العديدة التي تشير إلى مستقبلية الاستكشاف في دلالات بعض الآيات القرآنية، وذلك من مثل قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].

* ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].

* ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٧، ٨٨].

* ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

وفي المقابل فإننا نجد الآيات القرآنية المتعلقة بركائز الدين من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات قد صيغت صياغة محكمة، محددة المعنى، واضحة الدلالة، لا تحتمل غير وجه واحد، يفهمه البدوي في قلب الصحراء كما يفهمه أكثر الناس ثقافة وعلماً، وهذا أيضاً جانب من جوانب الإعجاز القرآني التي لا تحصى ولا تعد؛ ولذلك يحضنا ربنا ـ تبارك وتعالى ـ حضاً على تدبر آيات القرآن الكريم، فيقول ـ عز من قائل ـ:

* ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ويقول:

* ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

ويقول ـ تبارك وتعالى ـ:

* ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: «**أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه**»(١).

وإعراب القرآن الكريم يقصد به معرفة معانيه، وفهم رسالته المتضمنة في آياته، والتماس غرائبه؛ أي معرفة ما غمض من معانيه على قارئه. ويتجلى ذلك أكثر ما يتجلى في الآيات الكونية التي تتسع دلالاتها باستمرار مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية جيلاً بعد جيل وأمة بعد أمة، وذلك لندرة تلك المعرفة بالكون ومكوناته وظواهره في زمن تنزل الوحي ولطبيعتها التراكمية مع الزمن؛ بمعنى اتساع دائرة المعرفة فيها بزيادة استقراء الإنسان للكون وتعرفه على السنن المنتظمة الحاكمة له، والتي وضعها الله ﷻ فيه، ولولا انتظام تلك السنن واطرادها ما تمكن الإنسان من معرفة شيء عنها. وهذا الانتظام والاطراد في سنن الكون وظواهره هو من وسائل تسخير الكون للإنسان، وقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك التسخير في مواطن كثيرة.

ومبررات الاهتمام بالإشارات الكونية في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يمكن إيجازها فيما يلي:

١ ـ إن كلًّا من القرآن والسنة نزل لنا لنفهمه، والآيات الكونية لا تفهم فهماً كاملاً في إطار اللغة وحدها، والمعرفة كل لا يتجزأ.

٢ ـ إن الإسلام والمسلمين يتعرضان اليوم لهجوم ظالم في جميع وسائل الإعلام العالمية والمحلية؛ بسبب إنكار غير المسلمين لنبوة المصطفى ﷺ، وإنكارهم الوحي بالقرآن الكريم والإشارات الكونية خير دليل لأهل عصرنا

---

(١) الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٤٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ٧٧).

ـ عصر العلوم والتقنيات المتقدمة ـ على حجية ذلك كله، وباللغة التي يفهمونها.

٣ ـ إننا قصرنا في التبليغ عن الله ﷻ وعن رسوله ﷺ تقصيراً كبيراً، ولذلك وصلنا إلى ما وصلنا إليه من تكتل أهل الباطل علينا، وتآمرهم على ديننا ومقدساتنا وأعراضنا وأموالنا وأراضينا، وخير وسيلة لتبليغ هؤلاء القوم اليوم فضل الإسلام على غيره من الأديان، وفضل القرآن الكريم على غيره من الكتب: هو ما ورد من حقائق علمية راسخة في كل من كتاب الله ﷻ وفي سنة رسوله ﷺ؛ لأن العلم قد أصبح الوسيلة المقنعة لأهل عصرنا.

٤ ـ إن العالم قد أصبح قرية كبيرة تلتقي فيها كل الثقافات وثقافة عصرنا الراهن ترتكز على العلوم البحتة والتطبيقية وما تنتجه من تقنيات مختلفة ولذلك فإن إثبات سبق كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالإشارة إلى العديد من حقائق الكون هو من أنجح الوسائل لإقناع أهل عصرنا بصدق القرآن الكريم وبصدق نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

٥ ـ إن المؤامرة الدولية على الإسلام والمسلمين قد أسقطت من أيدينا كل سلاح نستطيع به الدفاع عن أنفسنا وأراضينا، وعن ديننا ومقدساتنا وأعراضنا وكرامتنا، ولكن على الرغم من ذلك فقد بقي بأيدينا سلاح الدعوة إلى الله على بصيرة بلغة العصر، ومنه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة، والذي لو أحسنَّا توظيفه في الدعوة إلى دين الله لفتح الله تعالى علينا الدنيا من أطرافها. والتجارب المحدودة في هذا المجال تثبت جدوى ذلك وأهميته.

وعلى الرغم من ذلك عارض نفر من أبناء المسلمين قضية الإعجاز العلمي لكلٍّ من: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ولا يزالون، والسبب الرئيس لذلك هو: ازدواجية التعليم، والفصل الكامل بين تعليم ديني إنساني نظري لم يعد له اهتمام بالمعطيات الكلية للعلوم. وتعليم مدني علمي تقني لا يعطي للدارس

الحد الأدنى من الثقافة الدينية التي تعينه على فهم أصول دينه، وعلى حسن القيام بعباداته، وحسن التبليغ عن الله تعالى ورسوله ﷺ بالكلمة الطيبة والحجة البالغة، ونتيجة لهذه المفاصلة تخوف كل من الشرعيين والعلميين من الخوض في هذه التجربة التي بدأها علماء المسلمين في القرن الهجري الثالث، واستمرت في مد وجزر حتى عصرنا الراهن.

وكان من مبررات المعارضين ما يلي:

١ ـ قَصْرُ إعجاز القرآن الكريم على جانب البيان والنظم والأسلوب والبلاغة والفصاحة بدعوى أن هذه المجالات هي التي كان التحدي بها لبلغاء العرب وفصحائهم.

٢ ـ اعتبارهم التفسير العلمي للقرآن الكريم نوعاً من التفسير بالرأي ـ وهو مذموم عندهم ـ ولكن المقصود بالرأي المذموم هو الهوى، وليس الرأي المؤسس على الحقائق العلمية الثابتة التي يقبلها كل عقل سوي، وتؤيدها الحجة المنطقية المقبولة والدليل المادي الملموس.

٣ ـ اعتبارهم أن الإسرائيليات كانت قد نفذت إلى التفسير أول ما نفذت عن طريق محاولات السابقين التعرض لشرح دلالة الآيات الكونية استناداً إلى ما جاء في سفر التكوين من العهد القديم، وقد أثبت العلم خطأها كما جاء في كتاب الدكتور الفرنسي (موريس بوكاي) (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم).

٤ ـ إن القرآن الكريم هو كلام الله ـ في صفائه الرباني ـ ولذلك فهو حق كله، وثابت ثبوت الرواسي، والعلوم المكتسبة متغيرة ولا يجوز مقابلة الثابت بالمتغير؛ أي لا يجوز مقابلة كلام الله بكلام الناس. وللرد على ذلك نقول: إن القرآن الكريم ـ الذي هو في الأصل كتاب هداية ـ نزل لنا لنفهمه ولنتدبر آياته بإمكاناتنا البشرية المحدودة، وإنا لا نوظف في مجال الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة إلا الحقائق التي حسمها العلم والتي لا رجعة فيها.

٥ ـ إن العلوم الكونية انطلقت في زماننا من منطلقات مادية بحتة لا تؤمن بما فوق المدرك من صور المادة والطاقة، ولذلك تصاغ أحياناً صياغات منافية لأصول الدين نتيجة للصراع المرير الذي قام في بدايات عصر النهضة الأوروبية بين العلميين ورجال الكنيسة في العالم الغربي، وانتهى بانحسار دور الكنيسة. وللرد على ذلك نقول: إن هذا الموقف كان في البدايات الأولى لتطبيق المنهج العلمي في الغرب، أما اليوم فإن المعطيات الكلية للعلوم أصبحت تؤكد على العديد من حقائق الدين؛ ولذلك طالبنا ولا زلنا نطالب بضرورة التأصيل الإسلامي للمعرفة بمعنى إرجاعها إلى أصولها الإسلامية.

٦ ـ إن بعض الذين تعرضوا لتفسير الآيات الكونية في القرآن والسنة ـ بغير خلفية علمية سليمة ـ إما تكلفوا في تحميل الآيات ما لا تحتمله، أو توسعوا أكثر من اللازم في إعطاء الآية القرآنية الكريمة من المعاني ما لا تقصده؛ والقرآن العظيم أجل من ذلك وأكرم. وللرد على ذلك نقول إن إثبات الإعجاز للقرآن الكريم وللسنة النبوية المطهرة لا يتم إلا بواسطة المتخصصين ـ كل في حقل تخصصه ـ وعلى الناقلين عنهم أن ينسبوا كل قضية إلى محققها وإلا لأصبح الأمر فوضى لا ضابط له ولا رابط، وهناك فرق كبير بين دور المحقق ودور الناقل.

٧ ـ الادعاء بأن نجاح الإنسان في الوصول إلى قدر من المعارف العلمية التي تحدث عنها القرآن الكريم يعتبر مخرجاً للإشارات الكونية في كتاب الله من إطار التحدي الذي يشترط فيه أن يكون أمراً خارقاً للعادة، سالماً من المعارضة، وقد نسي هؤلاء أن الإعجاز يتجسد في السبق الزمني لكل من القرآن والسنة بعشرة قرون كاملة على الأقل لكل المعارف الإنسانية المكتسبة.

وهذه الحجج كلها مردود عليها في هذا الكتاب حجة بحجة، غير أن خير

رد عليها هو الدعوة إلى الالتزام بضوابط التعامل مع قضية الإعجاز العلمي في كتاب الله ـ تعالى ـ وفي سنة خاتم أنبيائه ورسله ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ والتي أوردتها في هذا الكتاب وأوجزها فيما يلي:

١ ـ حسن فهم النص من القرآن أو السنة وفق دلالات الألفاظ في اللغة العربية، وحسب قواعدها، وأساليب التعبير فيها؛ لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، ولذلك فالنص مقدم على الظاهر، والظاهر مقدم على التأويل.

٢ ـ فهم أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمأثور من أحاديث المصطفى ﷺ وتفسيره لبعض آيات القرآن الكريم، والإلمام بجهود المفسرين السابقين.

٣ ـ جمع النصوص القرآنية المتعلقة بالموضوع الواحد والقراءات الصحيحة لها، ورد بعضها إلى بعض مع مراعاة السياق القرآني وعدم اجتزاء النص عما قبله وعما بعده، ومراعاة أن العبرة هي بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وتوظيف كل من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالموضوع الواحد في فهم النص القرآني والنبوي؛ لأن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، كما تفسره أقوال رسول الله ﷺ.

٤ ـ عدم التكلف، أو ليِّ أعناق الآيات والأحاديث من أجل موافقتها للحقيقة العلمية؛ لأن كلًّا من القرآن والسنة أعز علينا وأكرم من ذلك؛ انطلاقاً من كون القرآن الكريم كلام الله الخالق وكون النبي الخاتم ﷺ كان موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السمٰوات والأرض. وانطلاقاً كذلك من حقيقة أن الخالق هو أدرى بخلقه من كل المخلوقين.

٥ ـ البعد عن القضايا الغيبية غيبة مطلقة وعدم الخوض فيها بأكثر مما أثبته القرآن الكريم وفسرته السنة النبوية المطهرة، مثل قضايا الروح وحياة البرزخ، وموعد قيام الساعة والملائكة والجن والجنة والنار والميزان والصراط، والذات الإلٰهية ـ وغير ذلك من غيبيات مطلقة لا سبيل للإنسان في الوصول إلى معرفة شيء عنها إلا عن طريق وحي السماء.

٦ ـ مراعاة التخصص الدقيق لكل محقق لموضوع من موضوعات الإعجاز العلمي في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ ـ كل في حقل تخصصه ـ؛ لأن هذا ليس مجالاً للخوض من كل خائض، وهنا يجب التفريق بين تحقيق المحقق ونقل الناقل.

٧ ـ يجب تحري الدقة والأمانة في التعامل مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والتجرد عن كل هوى شخصي حتى يتحقق إخلاص النية في ذلك.

٨ ـ الالتزام بتوظيف الحقائق العلمية في تفسير الآيات الكونية الواردة في كتاب الله ـ تعالى ـ وفي سنة خاتم أنبيائه ورسله ﷺ باستثناء حالة واحدة؛ وهي حالة الآيات والأحاديث التي تفصل قضايا الخلق والإفناء والبعث بأبعادها الثلاثة ـ خلق كل من الكون والحياة والإنسان وإفنائهم جميعاً ثم بعثهم من جديد ـ لأن هذه من القضايا التي لا تخضع لإدراك الإنسان ومشاهدته بطريقة مباشرة، وبذلك لا يمكن للعلوم المكتسبة أن تتجاوز فيها مرحلة التنظير ـ أي وضع نظرية من النظريات التي تتعدد بتعدد خلفية واضعيها ـ وفي هذه الحالة يمكن للمسلمين الارتقاء بإحدى هذه النظريات السائدة إلى مقام الحقيقة لمجرد وجود إشارة صريحة لها في كتاب الله ﷻ أو في سنة رسوله ﷺ.

٩ ـ يجب التفريق بين قضيتي التفسير العلمي والإعجاز العلمي لكل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ وذلك لأن التفسير العلمي هو محاولة بشرية لحسن فهم دلالة الآية الكونية في هذين المصدرين من مصادر وحي السماء، ونحرص في التفسير العلمي على توظيف الحقائق العلمية كلما توافرت؛ ولكن لما كان العلم المكتسب لم يصل بعد إلى الحقيقة في كل من الأمور فلا أرى حرجاً من توظيف النظرية العلمية السائدة في تفسير الآية الكونية التي لا تتوافر حقائق لتفسيرها، ولا حرج في ذلك حتى لو ثبت خطأ النظرية الموظفة في التفسير بعد ذلك؛ لأن الخطأ هنا لا ينسحب على جلال القرآن الكريم ولكن ينسحب على جهد المفسر. أما الإعجاز العلمي فهو موقف من

مواقف التحدي، والمتحدي لا بد أن يكون واقفاً على أرضية صلبة؛ ولذلك لا يجوز أن يوظف في الإعجاز العلمي إلا الحقائق العلمية كما أوضحنا في النقطة السابقة.

١٠ ـ عدم التقليل من جهود السابقين الذين خدموا كلًّا من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في حدود المعارف العلمية التي كانت متاحة لهم كل في زمانه.

وبالمثل فإن السنة النبوية تشمل كل ما أُثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة. ولما كان رسول الله ﷺ معصوماً بعصمة الله في التبليغ عن ربه، فإن كل إشارة إلى الكون أو مكوناته أو ظواهره في الأحاديث الصحيحة المنسوبة إليه لا بد وأن تكون حقاً كاملاً، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولذلك قال ﷺ: «**ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه...**»، وقال لعبد الله بن عمرو: «**اكتب عني فوالذي نفسي بيده ما خرج من فمي إلا الحق**»، وعلى الرغم من ذلك فقد حمل أعداء الإسلام على السنة المطهرة في محاولة للتشكيك في حجيتها، وصدق جامعيها ورواتها، ومن هنا فإن استعراض الإشارات العلمية في أقوال الرسول الخاتم ﷺ بالضوابط الشرعية والعلمية التي أوردتها في هذا الكتاب لمما يمكن أن يؤكد لكل ذي بصيرة صدق رسول الله في كل ما قال، وصدق نبوته ورسالته، وذلك لاحتواء السنة النبوية الشريفة على كم من الحقائق العلمية التي لم يكن ممكناً لأحد من الخلق إدراكها في زمن الوحي، ولا لقرون طويلة من بعد زمن الوحي، لأن الإنسان لم يتوصل إلى إدراك شيء من ذلك إلا في القرنين الماضيين فقط.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: عن قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

(أ) المراجع العربية:

١ ـ إبراهيم، محمد إسماعيل: «القرآن وإعجازه العلمي» دار الفكر العربي ـ دمشق.

٢ ـ أحمد، حنفي (١٩٥٤م): «معجزة القرآن في وصف الكائنات»، مطبعة لجنة البيان العربي ـ القاهرة، الطبعة الأولى.

٣ ـ الألوسي: أبو الفضل شهاب الدين محمود شكري (ت١٢٧٠هـ): «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» ـ إدارة الطباعة المنيرية ـ القاهرة (بدون تاريخ)، دار الفكر ـ بيروت (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، دار إحياء التراث العربي/ الحلبي/ مصر (ط٤) ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤ ـ ابن أبي الإصبع، العدواني المصري: «بديع القرآن» ـ القاهرة (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م).

٥ ـ ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن حزم الظاهري: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني، المطابع الأميرية ـ القاهرة (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

٦ ـ ابن خلدون، عبد الرحمٰن بن محمد: «المقدمة» ـ القاهرة (١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م)؛ دار الفكر ـ بيروت (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)؛ دار الشعب ـ القاهرة بتحقيق د. علي عبد الواحد وافي (بدون تاريخ).

٧ ـ .....: «ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر» ـ بيروت (١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م) ـ (١٣٨١هـ/ ١٩٦١م).

٨ ـ ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت٢٢٤هـ): «فضائل القرآن» ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٩ ـ ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير «التحرير والتنوير»، الدار التونسية للنشر تونس (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

١٠ ـ ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (ت٥٤٣هـ): «أحكام القرآن»، مطبعة دار السعادة ـ القاهرة ـ (١٣٣١هـ/ ١٩١٢م).

١١ ـ ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت٥٤٦هـ): «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (نشر رئاسة المحاكم الشرعية بقطر ـ الدوحة) (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)؛ دار الكتب العلمية (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) توزيع دار الباز بمكة المكرمة.

١٢ ـ ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت٧٧٤هـ): «تفسير القرآن العظيم» (٤ أجزاء)؛ مطبعة الاستقامة ـ القاهرة (ط٢)، (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م).

١٣ ـ .....: «فضائل القرآن» ـ مطبعة المنار ـ القاهرة (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م).

١٤ ـ ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (ت٧١١هـ): «لسان العرب»، مطبعة المنار ـ القاهرة (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م).

١٥ ـ أبو حيان الأندلسي، أبو عبد الله محمد بن يوسف: «تفسير البحر المحيط» ـ مطبعة دار السعادة ـ القاهرة (١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م)، دار الفكر ـ بيروت (ط٢) (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

١٦ ـ أبو السعود، محمد بن محمد العماري: تفسير أبي السعود المعنون «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم» (جزءان)، المطبعة الأميرية ـ بولاق ـ القاهرة (١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م).

١٧ ـ الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ): «إعجاز القرآن» تحقيق أحمد صقر، المطبعة السلفية، القاهرة (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م)؛ ومصطفى الحلبي (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)؛ وعالم الكتب ـ بيروت (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

١٨ ـ البغوي، أبو محمد الحسين: تفسير البغوي المسمى «معالم التنزيل» ـ تحقيق خالد عبد الرحمٰن العك، ومروان سوار، دار المعرفة ـ بيروت (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

١٩ ـ البقاعي، برهان الدين بن عمر: «نظم الدرر في تناسب الآي والسور»، دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة (ط٢)، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، دار الكتب العلمية ـ بيروت (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

٢٠ ـ بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمٰن: «الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق: دراسة قرآنية، لغوية، وبيانية»، دار المعارف (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، الطبعة الثانية (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٢١ ـ .....: «التفسير البياني للقرآن الكريم» (في جزأين) ـ دار المعارف ـ القاهرة (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م).

٢٢ ـ البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» (جزءان)، المطبعة العثمانية ـ القاهرة (١٣٠٥هـ/ ١٩١٠م).

٢٣ ـ البيومي، محمد رجب: «البيان القرآني» ـ الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

٢٤ ـ التجيبي، أبو يحيى محمد بن صمادح: «مختصر تفسير الإمام الطبري» ـ دار الفجر الإسلامي ـ دمشق (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٢٥ ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ): «الحيوان» تحقيق عبد السلام محمد هارون؛ مكتبة الخانجي ـ القاهرة؛ دار الرفاعي بالرياض (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٢٦ ـ الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمٰن (ت٤٧١هـ): «دلائل الإعجاز»، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مطبعة الخانجي ـ القاهرة (ط٢)، مطبعة المنار ـ القاهرة (١٣٣١هـ/ ١٩١٢م)، أعيدت طباعته بالاتفاق مع مكتبتي الخانجي والأسرة بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

٢٧ ـ .....: «الرسالة الشافية في إعجاز القرآن» نشرت ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام ـ دار المعارف ـ القاهرة (١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ونشرت هذه الرسائل في سلسلة بعنوان «من ذخائر العرب».

٢٨ ـ الجسر، نديم: «قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن»، توزيع الدار العربية ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م). منشورات المكتب الإسلامي ـ بيروت (الطبعة الأولى) (١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م).

٢٩ ـ الجميلي، السيد: «الإعجاز الطبي في القرآن الكريم»، دار النصر (دمشق ـ بيروت).

٣٠ ـ جوهري، طنطاوي (ت١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م): «الجواهر في تفسير القرآن الكريم» (المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات) ـ (في ٢٦ جزءاً، ١٣ مجلداً) مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (١٣٤٠هـ/ ١٩٢٠م) (الطبعة الثانية) (شوال ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م).

٣١ ـ حوى، سعيد: «الأساس في التفسير» ـ دار السلام ـ القاهرة؛ حلب؛ بيروت (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

٣٢ ـ الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي: تفسير الخازن المعنون «لباب التأويل في معاني التنزيل» وبهامشه تفسير البغوي (في ٧ أجزاء)، المطبعة الأميرية ـ القاهرة (١٢٣١/ ١٢٣٢هـ) الموافق (١٨١٥/ ١٨١٦م). أعاد طباعته كل من دار المعرفة، ودار الفكر ـ بيروت.

٣٣ ـ الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم (ت٣٨٨هـ): «بيان إعجاز القرآن» مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن بتحقيق محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف ـ القاهرة (١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ونشرت هذه الرسائل في سلسلة بعنوان «من ذخائر العرب».

٣٤ ـ الدباغ، مصطفى (١٩٨٥): «وجوه الإعجاز القرآني»، مكتبة المنار، الزرقاء، الطبعة الثانية.

٣٥ ـ دراز، محمد عبد الله: «النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن»، القاهرة (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م).

٣٦ ـ الذهبي، محمد حسين: «التفسير والمفسرون»، دار الكتب الحديثة ـ القاهرة (الطبعة الثانية) (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

٣٧ ـ الرازي، أبو بكر فخر الدين محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ): تفسير الرازي أو التفسير الكبير المسمى «مفاتيح الغيب» (في ٨ مجلدات)، المطبعة البهية ـ القاهرة (١٣٠٧هـ/ ١٣٢١هـ) الموافق (١٨٨٩م/ ١٩٠٣م)، أعادت طباعته كل من دار الكتب العلمية ـ طهران (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ودار الفكر ـ بيروت (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

٣٨ ـ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ): بترتيب السيد محمود

خاطر (الطبعة العاشرة) الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).

٣٩ ـ الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل (ت٥٠٣هـ): «معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم» ـ تحقيق نديم مرعشلي ـ دار الكتاب العربي (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

٤٠ ـ رضا، محمد رشيد: «تفسير القرآن الحكيم» الشهير بـ «تفسير المنار» ـ دار المنار ـ القاهرة (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)، دار المعرفة ـ بيروت (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

٤١ ـ الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (ت٣٨٦هـ): «النكت في إعجاز القرآن» ـ طبع ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز بتحقيق محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام ـ دار المعارف ـ القاهرة (١٤١١هـ/ ١٩٩١م) صدرت تحت عنوان «من ذخائر العرب».

٤٢ ـ الزرقاني، محمد بن عبد العظيم (ت١٣٦٧هـ): «مناهل العرفان في علوم القرآن» (في جزأين) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ دار إحياء الكتب العربية (١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م).

٤٣ ـ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ): «البرهان في علوم القرآن» ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (في أربعة أجزاء)، دار إحياء الكتب العربية الحلبي ـ القاهرة (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م)؛ أعادت طباعته دار المعرفة ـ بيروت (١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م).

٤٤ ـ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ): «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» (في أربعة أجزاء) ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م)، (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م)، (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م).

٤٥ ـ السعدي، عبد الرحمٰن بن ناصر: «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان» من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

٤٦ ـ سعيد، عبد الستار فتح الله: «المدخل إلى التفسير الموضوعي» ـ دار التوزيع والنشر الإسلامية ـ القاهرة (الطبعة الثانية) (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٤٧ ـ السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمٰن بن كمال الدين ـ أبو بكر ـ

الأسيوطي أو السيوطي (ت٩١١هـ): «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (في ستة أجزاء) مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر (١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م)، دار الفكر ـ بيروت (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٤٨ ـ .....: «الإتقان في علوم القرآن» وبهامشه إعجاز القرآن للباقلاني ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ المكتبة التجارية (الطبعة الأولى) (١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م)، مصطفى الحلبي (الطبعة الرابعة) (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، مكتبة دار التراث ـ القاهرة (الطبعة الخامسة) (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

٤٩ ـ شحاتة، عبد الله: «آيات الله في الكون: تفسير الآيات الكونية بالقرآن الكريم» ـ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

٥٠ ـ الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، مطبعة المدني بالرياض (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

٥١ ـ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ): «فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير» ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر (١٣٤٠هـ/ ١٩٢٠م)، (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م)، دار الفكر ـ بيروت (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٥٢ ـ الصابوني، محمد بن علي: «مختصر تفسير ابن كثير» (في ثلاثة مجلدات)، دار القرآن الكريم ـ بيروت (١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م).

٥٣ ـ .....: «صفوة التفاسير» (في ثلاثة مجلدات)، دار القرآن الكريم ـ بيروت (١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م).

٥٤ ـ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ): تفسير الطبري المعنون «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر ـ المطابع الأميرية ـ بولاق ـ القاهرة (في ١٥ مجلداً)، ودار المعارف ـ القاهرة (١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م)، ثم طبعات تالية من نفس الدار (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)، (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ثم طبعة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، وطبعة دار الفكر ـ بيروت (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، وطبعة دار الحديث ـ القاهرة (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٥٥ ـ عبد الباقي محمد فؤاد: «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» ـ دار ومطابع الشعب ـ القاهرة (١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م).

٥٦ ـ عبد الرحيم، عبد الجيل (١٤١٠هـ/ ١٩٤٥م): «الإعجاز العلمي بين الظن والتحقيق» [من بحوث المؤتمر الأول للإعجاز العملي المعقود بمدينة السلام ببغداد في الفترة من (٢١ ـ ٢٦/ ٩/ ١٤١٠هـ) الموافق (١٦ ـ ٢١/ ٤/ ١٩٩٠م) تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالجمهورية العراقية] ص: ٢١٩ ـ ٢٧٢.

٥٧ ـ العك، خالد عبد الرحمٰن: «أصول التفسير لكتاب الله المنير»، مكتبة الفارابي ـ دمشق (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

٥٨ ـ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ): «إحياء علوم الدين» ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة (١٣٣١هـ/ ١٩١٢م)؛ دار المعرفة ـ بيروت؛ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م).

٥٩ ـ .....: «جواهر القرآن» ـ مكتبة الجندي ـ القاهرة (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)؛ الطبعة الخامسة، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

٦٠ ـ فكري، على (١٩٤٨م): «القرآن ينبوع العلوم والمعارف»، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة (في جزأين) الطبعة الأولي.

٦١ ـ الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ): «معاني القرآن»، تحقيق النجاتي، مطبعة دار الكتب العربية، ببيروت، ١٩٧٩م.

٦٢ ـ الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت٢٠٧هـ): «معاني القرآن»، تحقيق النجاتي ـ مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م).

٦٣ ـ القاسمي، محمد جمال الدين: «محاسن التأويل» ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م)، تعليق وتصحيح محمد فؤاد عبد الباقي.

٦٤ ـ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى (ت٦٧١هـ): تفسير القرطبي المسمى «الجامع لأحكام القرآن» (في ٢٠ مجلدا) ـ دار الكتب المصرية (١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م)، (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)، (١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م)، (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)؛ دار القلم ـ بيروت (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)؛ دار الكتب العلمية ـ بيروت (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)؛ دار الفكر ـ بيروت (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

٦٥ ـ القطان، مناع خليل: «مباحث في علوم القرآن»، مؤسسة الرسالة (الطبعة السابعة) (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

٦٦ ـ قطب، سيد: «في ظلال القرآن» (في ستة مجلدات) ـ دار الشروق ـ بيروت (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

٦٧ ـ .....: «التصوير الفني في القرآن» ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة (١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م).

٦٨ ـ الكرداني، أحمد عبد السلام (١٩٧٥م): «نماذج من الإعجاز العلمي في القرآن» مطبوعات الشعب ـ القاهرة.

٦٩ ـ كنعان، محمد أحمد: «قرة العينين على تفسير الجلالين» ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت؛ دمشق (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

٧٠ ـ لجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ ج.م.ع.: «المنتخب في تفسير القرآن الكريم» (الطبعة الثالثة) (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ج.م.ع. القاهرة.

٧١ ـ مخلوف، حسنين محمد: «صفوة البيان لمعاني القرآن» ـ من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت (الطبعة الثالثة) (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٧٢ ـ .....: «مباحث في إعجاز القرآن» ـ دار المنارة ـ جدة (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

٧٣ ـ المراغي، أحمد مصطفى: «تفسير المراغي» ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

٧٤ ـ مسلم، مصطفى: «مباحث في التفسير الموضوعي» ـ دار القلم ـ دمشق؛ بيروت (الطبعة الأولى) (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

٧٥ ـ النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد: تفسير النسفي المعروف باسم «الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل» (في مجلدين) ـ مطابع الحلبي ـ القاهرة (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م).

٧٦ ـ نجم، رائف (١٩٨٣م/ ١٤٠٣هـ): «الإعجاز العلمي في القرآن برهان النبوة»، المكتبة الإسلامية ـ عمان، الطبعة الثانية.

(ب) المراجع الأجنبية والمترجمة:

٧٧ ـ بوكاي، موريس: «القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل والعلم: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» ـ دار المعارف ـ القاهرة (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).
(Maurice Bucaille (1976): «La Bible, le Coran et la Science» Editions Seghers, 6, Place Saint-Sulpice 75006, Paris.)

٧٨ ـ ما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٥م.
Maurice Bucaille: what is the Origin of Man? the answer of science and the Holy Scriptures. A.S. Noordeen,Kuala Lumpur,Malaysia

٧٩ ـ مونسما، جون كلوفر (مشرف على التحرير): «الله يتجلى في عصر العلم» ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، مراجعة الدكتور محمد جمال الدين الفندي، الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ـ القاهرة.
(The Evidence of God in an Expanding Universe: edited by: John Clover Monsoma; 1958; Published by G.P. Putnam's Sons, New York.)

ثانياً: عن قضية الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة:

١ ـ **اختصار علوم الحديث**: للإمام أبي الفداء عماد الدين محمد بن إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) وبحاشيته الباعث الحثيث بشرح اختصار علوم الحديث لأحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢ ـ **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

٣ ـ **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي**: للإمام الحافظ أبي العلا محمد عبد الرحمٰن ابن عبد الرحيم المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ). المكتبة الفاروقية ملتان ـ باكستان.

٤ ـ **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**: للسيوطي (ت: ٩١١هـ) حققه عبد الوهاب عبد اللطيف. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٥ ـ **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**: للحافظ أحمد بن علي بن مجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) عني بتصحيحه: عبد الله هاشم اليماني، دار المعرفة ـ بيروت.

٦ ـ **تهذيب التهذيب**: للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، دار الفكر ـ بيروت.

٧ ـ **تيسير المنفعة بكتابي مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**: للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي. دار الحدس للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.

٨ ـ **جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ**: لأبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري (ت: ٦٠٦هـ) تحقيق عبد القادر الأرناؤوط. دار الفكر ـ بيروت.

٩ ـ **سنن ابن ماجه**: بتحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا. دار المعرفة ـ بيروت.

١٠ ـ **سنن ابن ماجه**: للإمام محمد بن يزيد الربعي أبى عبد الله بن ماجه القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، مع الحاشية للشيخ عبد الغني الدهلوي المسماة بإنجاح الحاجة، وبحاشية المسماة بمصباح الزجاجة للحافظ جلال الدين السيوطي. قديمي كتب خانة كراتشي باكستان.

١١ ـ **سنن ابن ماجه**: مطبوعة دار سحنون ـ تونس.

١٢ ـ **سنن أبي داود**: مع المراسيل: للإمام أبي داود بتعليق الشيخ فخر الحسن كنكوهي. شركة السعيد كراتشي باكستان.

١٣ ـ **سنن أبي داود**: للشيخ الحافظ الحجة الرحلة سليمان بن الأشعث بن شداد أبي داود السجستاني (ت: ٢٧٥هـ). دار سحنون ـ تونس.

١٤ ـ **سنن الترمذي**: للإمام المحدث أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ) بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، والدكتور إبراهيم عطوة. دار سحنون ـ تونس.

١٥ ـ **سنن النسائي، المجتبى**: للإمام الحافظ أبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣هـ) مع التعليقات السلفية للأستاذ محمد عطاء الله حنيف الفوجياني الأمرتسري. المكتبة السلفية لاهور ـ باكستان.

١٦ ـ **سنن النسائي**: بشرح الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي. قديمي كتب خانة كراتشي ـ باكستان.

١٧ ـ **سنن النسائي**: بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، بتحقيق مكتب تحقيق التراث الإسلامي. دار المعرفة ـ بيروت.

١٨ ـ **شرح السنة**: تأليف الإمام المحدث محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت: ٥١٦هـ) حققه شعيب الأرناؤوط ورفيقه. المكتب الإسلامي ـ بيروت.

١٩ ـ **صحيح البخاري**: الطبعة السلطانية مأخوذة من النسخة اليونينية.

٢٠ ـ **صحيح البخاري**: النسخة المطبوعة دار سحنون ـ تونس.

٢١ ـ **صحيح البخاري**: بإعداد وترقيم الدكتور مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير ـ دمشق، وبيروت.

٢٢ ـ **صحيح البخاري**: للإمام الجليل أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ) بحواشي الشيخ أحمد علي السهارنفوري النسخة الهندية. مطبوعة دلهي ١٣٥٧م، والطبعة الثانية كراتشي في ١٣٨١هـ.

٢٣ ـ **صحيح مسلم**: النسخة الإستنبولية بحاشية الشيخ الذهني أفندي، مطبوعة دار الفكر بيروت.

٢٤ ـ **صحيح مسلم**: للإمام المحدث أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ) مع شرحه الكامل للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النواوي (ت ٦٧٦هـ) النسخة الهندية. الطبعة الأولى بدلهي سنة ١٣٤٩هـ والطبعة الثانية بكراتشي سنة ١٣٧٥هـ.

٢٥ ـ **الطبقات الكبرى**: لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري كاتب الواقدي (ت: ٢٣٠هـ) تصوير ـ بيروت سنة ١٩٥٦م.

٢٦ ـ **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**: للإمام الحافظ ابن العربي المالكي (ت: ٥٤٣هـ) إعداد هشام سمير البخاري. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٢٧ ـ **عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي**: لابن العربي المالكي. دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٨ ـ **عون المعبود بشرح سنن أبي داود**: للمحدث أبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي (ت: ١٣٢٩هـ). نشر السنة ملتان ـ باكستان، سنة ١٣٩٩.

٢٩ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: للإمام الحافظ المتقن شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، طبعة بولاق، والطبعة الثانية بدار المعرفة ـ بيروت.

٣٠ ـ **فتح المنان بمقدمة لسان الميزان**: للإمام العلامة شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) إعداد محمد عبد الرحمٰن المرعشلي. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣١ ـ **الزوائد ومنبع الفوائد**: لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ) بتحقيق عبد الله محمد الدرويش. دار الفكر ـ بيروت.

٣٢ ـ **المستدرك على الصحيحين**: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، وبذيله تلخيص المستدرك للذهبي (ت: ٧٤٨هـ) بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٣ ـ **المسند**: للإمام أحمد بن حنبل، ترتيب أحمد محمد شاكر. الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٨هـ ـ دار المعارف.

٣٤ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف**: طبع بمطبعة بريل في مدينة ليدن.

٣٥ ـ **موسوعة أطراف الحديث النبوي**: إعداد أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٦ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**: للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) بتحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي. دار الفكر، بيروت.